

المصفاة

مجلة

المجلد الثالث عشر
الجزء السابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



تابعوا ...

WWW.ALUKAH.NET

﴿ المجلد الثالث عشر ﴾

٤٨١

﴿ الجزء السابع ﴾

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿ الجمعة سلخ رجب ١٣٢٨ - ٥ اغسطس (آب) ١٢٨٦ هـ ١٩١٠ م ﴾

(المراجع ٧ م ١٣) حجج المتزلة في مسألة التحسين والتقبيح ٥٥٥

باب القائد

بحث التحسين والتقبيح (*)

احتجت المتزلة بوجوه (الاول) ان استحقاق المدح على العدل والاحسان والذم على الظلم والمسدوان ضروري والمنازع مباحة ولا يرتاب منصف أثر الحق على الخلق في صحة هذه الحجة وأما تسليم الخصم لها^(١) ثم يقولون هو ليس محل النزاع انما محل النزاع بمعنى استحقاق المدح عاجلا والثواب آجلا الى آخره وقد عرفت غلطهم على المتزلة وأبهم انما يقولون الثواب والمقاب من لوازم التكليف الذي هو أخص من الحسن والقبح وأوجب منه ذكر المماجل والآجل كما مضى ومن نازعنا في هذه التخطئة فهذه كتب المتزلة والحمد لله فبدأنا بشيء من كتب أبي الحسين وغيره من المتزلة أعني كتبهم المتعددة لآمن أخذ النقل عن المتزلة من كتب الاشاعرة وان كان من أتباعهم كصاحب

(١) ينظر أين جواب أما؟ لله فقط من الناسخ شيء هو الجواب وفيه ما يصلح لطف «ثم يقولون» عليه. كأن يكون هكذا: وأما تسليم الخصم لنا فلعل النصفين يلتزمونه ثم يقولون هو ليس محل النزاع الخ ويمكن تصحيح الكلام بتعديرات أخرى فامل آه مضمون

(٥) تاج لا نشر في ص (٤٢٥ م ١٣)

(المجلد الثالث عشر)

(٦٤)

(المراجع ٧)

٥٠٦ حجج المتزلة في مسألة التحسين والتقيح (المارچ ٧ م ١٣)

الفصول بل كتبهم مشحونة بالتفصيل الذي استغناء وهو شاهد صدق على خطأ هذا النقل . فان آيت الاحتجاج^(١) بما حكاه الدامغاني عن بعض الامامية وقد نوظر فانقطع ثم قال : الحجة إجماعنا ايها المصابة الامامية . وانت فتقول الطريق الى رد ما قلت اتفاق هذه الجماعة من الاشاعرة أهل التحقيق قلنا زاعنا ليس في التحقيق انما في صحة الرواية وهي تثبت على التحري وعدم المجازفة ولهذا ترى ابن الصلاح والنواوي وابن حجر المستقاني وغيره ممن ظب عليهم علم الحديث لا يكادون يقيمون لهؤلاء المشار اليهم بالتحقيق هنا ميزانا لما كانت صناعة أولئك عمدتها الرواية ثم ان الطريق الذي عرفنا به كون الاشاعرة ناقلين عن المتزلة هو الطريق الذي عرفنا به كون المتزلة ناقلين بالمقالة فأتري لو حضرك اشعري ومعتزلي وقال المعتزلي هذه مقالي وقال له الاشعري بل مقالتك هذه على ايها مكنت تعتمد وارجع الى الحمصية وحكاية قراقوش لعمره

أما من دفع هذه الضرورة وقال لانعرف بين تعذيب زيد بأنواع العذاب ، والتلمب به باشتم ما يستهجنه أولو الالباب، وبين اكرامه بأنواع النعم ومرافق الارتفاق ، بل بين سب الله تعالى بعد معرفته بصفات الكمال وجلائل النعم ، وبين حمده وشكره على ذلك الجود والكرم ، وقال انما الفرق بين هذه الاشياء ونحوها بميل الطبع ومروء الانسان عليها التعرف عليها أو للتأديبات الشرعية او غير ذلك . فالجواب عن هذا أنا تفرق بين

(١) لعل الصواب إلا الاحتجاج اه مصححه

(المتزوج ٧١٣٧) حجج المعتزة في مسألة الحسين والتبحيح ٥٠٧

تلك الامور التي ذكرتتم وبين كون الفعل يترتب عليه حسن المدح والتميم
فأنتم قد سلمتم لنا هذا الفرق وسميتم باسميناه تحسينا وتقييما كالا ونقصا
وأما انكاركم بعد هذا الاقرار وقضاؤكم بان المدح والتميم لا ينشآن عن
فعل البتة وإنما يمدح على الشيء ويندم لان الشارع أمرنا بذلك وما بين
ذلك الفعل والمدح الذي رتب عليه الشارع بالنظر الى ذاتيهما الا ما بين
الضرب والنون ولم يكن أمره أيضا المرجح بل بمحض الاختيار . ولو عكس
وأمر بالمكوف على سبه وكفران نعمته وعبادة الشيطان وأوجب الكفر
وحرمة الايمان وقال أنا أحق باليمن والشيطان بالعبادة . تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا كان ذلك عندهم كمنقيضه لا فرق بينهما فلمعري ما أنتم أحقاه
بعد ذلك بالمناظرة ولا بمن يرتجي منه الانصاف ولا جثم باقرب مما جاء
به السوفسطائية ولا أدبتم بامتن مما أدلوا به وما نقول لمن أقر على نفسه
بذلك الا قد قلب فؤادك وبصرك كما لم تؤمن بالحق أول مرة، ولم تبال
اين يقع قدمك في نظرك أول خطوة، ولو سرنا معه على نط الجدول لقلنا
له قد ادعينا نحن واكثر الفرق كما عرفت انا ادركنا هذا المعنى المتنازع
فيه بضرورة عقولنا وفرقنا بينه وبين تلك الامور التي لم يبلغ فهمك الى
غيرها فنحن نصادقك على اعترافك على نفسك بالجهل بهذا الامر الذي
هو الهدى كل الهدى فنأين منح لك الحكم علينا بعدم العلم بما ادعينا
العلم به ضرورة حتى زعمت اننا ظننا احد تلك الامور التي ذكرت أمرآ خارجا
عنها وحكمك انما هو جهل مركب فانك في الحقيقة قد شككت في صحة
عقولنا لما ادعينا العلم بما جهات

وهبني قلب هذا الصبح ليل أبعي البصرون عن الضياء

﴿ الحجة الثانية ﴾

إذا لم يقبح من الله شيء جاز كذبه الصادق وتصديقه الكاذب فلا يعلم صدق نبي قط ولا يوثق بخبر من أخباره تعالى . واعترضها ابن الحاجب وقرره المضد ولنعمد تقريره ليقوم مقام ما هو في معناه من الفاظ غيره ونقطه « لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله تعالى امتناعا عقليا وان كنا نجزم بعدمه عادة لانهما من الممكنات وقدرته شاملة ولو سلم امتناعه فلانسلم ان انتفاء القبح العقلي يستلزم انتفاء لجواز أن يتمتع لمدرک آخر أو لا يلزم من انتفاء دليل معين انتفاء العلم بالمدلول» والجواب (قوله) لانسلم امتناع اظهار المعجزة على يد الكاذب والكذب على الله امتناعا عقليا (قلنا) انما يلزمكم سد باب النبوة وعدم الوثوق بالشرائع مع عدم التسليم (قوله) وان كنا نجزم بعدمه عادة (قلنا) أريد أن التجربة أفادتك ان المعجزة لا تظهر الا على صادق وان الله تعالى لا يخبر الا بالصدق والسؤال وارد على نبوة كل نبي وعلى كل خبر من جهته تعالى ومن قد سلم لك امكان فرد على أصلك الفاسد!! أم تريد أنه عند المعجزة وعند سماعنا بخبر من أخباره تعالى يخلق الله لنا علما ابتدائيا اجري عاداته بذلك!! وحاصله ان العلم الحاصل لمن عرف المعجزة حاصل عندها لا بها فهذا قول بان المعجزة في نفسها لا دلالة لها على نبوة النبي والذي علمناه من قوسنا أن

هذا العلم الضروري لم يحصل لنا انما عرفنا وجه الاعجاز وانه من فعل الله تعالى قلنا هذا صدقة الله تعالى ومن صدقة الله تعالى فهو صادق كسائر الاستدلالات ولو اختلفت احدي مقدمتي الدليل لبطل (فان قلت) نحن ننظر في المعجزة فيحصل العلم بخلق الله تعالى لغيرها من الادلة (قلنا) انما يكون حصول العلم بعد صحة كل من المقدمتين وههنا الكبرى غير صحيحة فان من صدقة الله فهو صادق لادليل على صحتها على اصلكم وهي وقولنا ومن صدقة الله فهو كاذب سواء . ويقال لهذا القائل متى تزعم ان الله يخلق هذا العلم الضروري؟ ابعد معرفة وجه دلالة المعجزة فهو لا يتم حتى تعرف ان من صدقة الله تعالى فهو صادق؟ ام تزعم انه من رآها او سمعها حصل له هذا العلم؟ فهذا معلوم كذبه ضرورة (ان قلت) خلق الله علما بصدق نبيه ممكن فمن أين لك القطع بصدقه (قلنا) كم يمكن نحن قاطعون بصدقه لان دليل كقطعنا بانه ليس في حضرتنا رجل له ألف رأس وقطع احدنا بانه لا يثبت جثمانه في الملا الا على بان الله يقدر على قطع ما بيننا؟ وان الجبل الذي رأيناه في اللحظة الاولى لم يتحول بعد خطيبا وغير ذلك من العلوم المادية حقا فهذا العلم الذي تدعون انه زده بالعلم الابتدائي ولقد تجاسر من ادعى هذا العلم على أهل السموات والارض ولو قال احد قولاً يحتمل الصدق والكذب وقال للمخاطبين : معكم علم قد خلقه الله لكم بصدق قولي لكان تكذيبه من أهون شيء مع استواء الامرين في الامكان فكيف بهذا الذي يدفنه كل عاقل . فان ادعيت ان هذا العلم الضروري بصدق المعجزة وصدق الله تعالى لان دليل حاصل لنا بعد سماع لفظ الخبر ورؤية المعجزة أو سماعها من دون نظر وان دعوانا كذبكم مخالفة للضرورة

كان للسوفسطائية أن يردوا تكذيبنا لهم بذلك حين ادعوا أن لا علم عندهم
أثبتة في أي شيء، قلنا: هم بعد ادراكم لماهية العلم وادراكم لاتصافهم
به منكرون للضرورة، فلوهم على هذا أن يقولوا تكذيبكم لنا كذب الا
انهم يدعون على الناس عدم العلم وانهم تدهون عليهم العلم فادعوا ما هو
الاصل فكان دعواهم أقرب من دعواكم وكنتم اكثر منهم لالجاباء واتبع
اهو جاباء، وادركتم ما كان فاتهم لانهم لا يمكنهم دعوى العلم الضروري
للا يثبتوا العلم، فانظروا وانتم أثبتوه ثم صرتم تدهونه على من خالفكم
فيا اعيانكم فكنتم كمن قال، فادركتم ما تمني واحال
وكنت فتى من جندي ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي
فلومات قبلي كنت ادركت بعده دقائق فكر ليس يدركها بعدي
(قوله) لانهما من الممكنات وقدرته شاملة (قلنا) مسلم والذي
تصد خصمك وهو عدم وثوقك بالنبوة وصدق خبر الشارع مبني على
ذلك (قوله) ولو سلم امتناعه فلا نسلم ان انتفاء التبع العقلي يستلزم
انتفاء مجواز ان يتمتع لمدرك آخر اذلا يلزم من انتفاء دليل معين
انتفاء العلم بالمدلول (قلنا) أما خصمك فقد كفاه هذا الدليل المعين وأما
أنت فقد فاتك هذا الدليل على أصلك الفاسد فقال خصمك جوز على
الله تعالى الكذب وتصديق الكاذب ولم يقل فاطع على تصديق الله تعالى
الكاذب وعلى كذبه سبحانه في اخباره بجوابك مجواز دليل يدل على امتناع
ذلك في حقه تعالى لا ينافي ما ألزمتك من عدم الوثوق بالشريعة والذي يدفع
الالزام هو وجود دليل لا جوازه
واعلم أن الدليل الذي يذكرونه هنا هو المادة وقد هرفت سقوطه

وقد يقول بعضهم هو صادق لذاته لأنه متكلم لذاته وجوابه بعد تسليم الكلام القديم وتنوعه لثلاث يتشر البعث أنه لا فرق عندكم بين الصدق والكذب بالنظر الى البارئ تعالى فقله كاذب لذاته ويلزمكم أن تتعلق قدرته بالكذب بمعنى انه يقدر على أن يخبر بالشيء لا على ما هو به لان ما بالذات لا يتناقض كما انه لما كان قادرا لذاته أي قدرة واجبة لا يحتاج في ثبوتها الى غير ثبوت الذات لم يكن من الممكن أن يسجز . لا يقال قد علم من ضرورة دين الانبياء صلوات الله عليهم وصفه بأنه صادق أبدا لانا نقول صدقهم لا يمكن الجزم به مع بقاء هذا الاشكال فليتأمل هذا البحث فلم يجد المحققون فيه الا المغالطة والتليس انظر هذا المحقق الذي صار المحقق كالمعلمه كيف أزم انه يجوز كذب الشرائع فقال يجوز أن يكون هناك دليل يدل على الصدق ، وهل تغير هذا المضيق بعد الدليل ؟ . يا هذا لا نجبا بعد بوس ، ولا عطر بعد عروس ، ثم نقول هب ان هناك مدركا هو مستندكم لكن هذه كتبكم قد طبقت البسيطة وقد بالغنا في التبع لها فله وجدناكم ذكرتم شيئا الا هذه الاعذار الباردة ، والمغالطات التي لا طمع في الاعتماد عليها والمساعدة ، وما هذه حال من تصدى لنصيحة الامة ، وزعم أنه كفاها مهم الملاحدة وكشف الغمة ، متى يدرك هذا المدرك الناظرون ، ويهتدي به الحائررون ، فانا قد شارفنا تمام الف عام والف شهر من موت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كأنكم أودعتم ذلك المدرك امام الامامية فلا يظهر الا بظهوره ، واستعملتم في تبيته رموز الباطنية التي لا يدونها الا لمن يثقون بمروره

وأصعب من هذا جواب الامام الرازي فانه قال في النهاية ما معناه

صدق النبي متوقف على مقدمتين (احدهما) ان المعتزلة نازلة منزلة قول الله له صدقت (والثانية) أن من صدقه الله فهو صادق ، فعن وان كنا لا يمكننا القطع بالثانية الا مع القول بالتحسين والتبسيط العقليين لكن المعتزلة قطعوا بصحة الاولى مع انها خبر محتمل الصدق والكذب ولم يضرهم ذلك فلم يضرنا القطع بالثانية مع الاحتمال انتهى ولم يحضرنى الكتاب المذكور حتى اقل صورة لفظه فان تبسر لي ذلك الخلقه والافضل الناظر بانتداب ذلك فان هذا الفعل محل ريبه اولا يقول هذا القول مسلم كيف من هو من اعلام المسلمين اذ هو كالصريح ان التشريعة على غير يقين من صحة الشرائع سبحانه الله العظيم . وما اظهر ركة قوله : ان الاولى خبر محتمل الصدق والكذب وما صدور مثل هذا القول عن مثله ينبغي أن يحصل البتة على ظاهره لوضوح قلة الانصاف فيه ثم وان ظهور بطلانه ينبتنا عن التصدي بلوابه اذ هذا البحث انما يخاطب به المتعمي المحيط بتحقيق مذنب التريقين التحلي بالانصاف اذا وجد وقد سلك هذه الطريقة الجوفى في الارشاد وحيث أورد على نفسه انه لا معنى للمطالبة الشرعية مع القول باستحالة ار القدرة الحادثة لانه اختار في الكتاب المذكور انها مثل العلم سواء فاجاب بان المعتزلة يلزمهم كذا وكذا وعده التزامات ولم يتعرض للحل اصلا وهو دأبه في المضائق في الكتاب المذكور فيقال له هب انه لزم المعتزلة ما ذكرت فماذا يعني عن طالب الحق ان يتعرف انك على باطل وتلطمح صاحبك باطل آخر فانما عرضي معرفة الحق وكشف عوراتكم لا يقضي وطري

(المارچ ٧م ١٣) الحجة الثالثة للمنزلة على التحسين والتبجح ٥١٣

(الحجة الثالثة)

لزوم إتمام الانبياء فيقول المرسل اليه الرسول يجب علي طاعتك أم لا فان كانت لا يجب استرحت وان كانت واجبة فبالعقل أم بالشرع؟ فلي مذهبهم لا بد أن يقول بالشرع فيقول لا يلزمني اجابتك حتى يثبت الشرع عندي ولم يثبت بعد لعدم معرفتي صدقتك ومجرد الدعوى لا يكفي فكم ادعى هذا الشأن كاذب وأنا لا أؤمن نفسي تعرف الشرع حتى يجب علي التعرف فقد تمنع الامران وأجابوا عن هذه الحجة أولاً بالممارسة للمعتزلة بأن وجوب النظر عندهم نظري فنقول لا انظر في صحة دعواك حتى يدرك عقلي وجوب النظر وليس بيديهي فلا يدركه حتى انظر (والجواب) لانا نقطع أن من عرض له حيرة في شيء يخشى من اغفاله ضرراً فانه يناله هم وهم يضر به فان أزال ذلك يتبين حقيقة الامر بالنظر أو بالأخذ بالاحوط حيث يتوهم في بعض الصور وان كان الأخذ بالاحوط من نتائج النظر الا أنه ربما أمكن بأدنى تأمل فان المقول تقبل لومه وذمه لتركه ازالة ذلك الضرر وهو خاصية القبح كما مضى فكيف من خوفه الرسول بخزي الدنيا والآخرة وعذابهما وفوت كل نعم وادراك كل ضرر لا يجد من نفسه مرضاً للنظر بحيث يذم على اغفاله هذا سيما في هذه الصورة مكابرة ظاهرة فالنظر واجب يدرك وجوبه بأدنى التفات بحيث يمد من الاوليات ويلحق بها وقد ضرب له الغزالي مثلاً في بحث النظر نفسه

(المارچ ٧) (٦٥) (المجلد الثالث عشر)

١٤ الحجة الثالثة للمعتزلة على التحسين القبيح (المارج ٧م ١٣)

فقال ما معناه لو قيل لانسان : الاسد خلفك مقبل عليك وهو آخذك ان لم تجرد الهرب فاذا قال لا حامل لي على الهرب الا العلم بصدق خبرك وانا لا اعلمه حتى التفت ولا أزم نفسي الالتفات حتى يتحم علي الالتفات قال فان هذا معدود من الحمق لامن العقلاء فمده إياه من الحمق واخرجه عن زمرة العقلاء من دون تحاش يدل على ان هذه قضية يعلمها كل عاقل بضرورة عقله وهو معنى الدم الذي قلنا هو خاصية القبح ومقابل القبح الواجب وهذا منه قول بالوجوب والقبح العقليين وتجنب عبارة الخصم أمر سهل لا يقع النزاع فيه بين المحصلين فقد وضع الفرق بين الامرين وان هذا الاشكال غير وارد على المعتزلة

واجابوا ثانياً بالحل وحاصله ان وقوع النظر لا يتوقف على وجوبه وقالوا أيضاً وجوبه لا يتوقف على وقوعه أما الاول فلا مكان وقوع النظر من يجب عليه، وأما الثاني فلان النظر واجب بالشرع نظر أو لم ينظر وهذا الجواب من المغالطة بكان ومن ترويجات المضد تخيله الفرق باعتراض الوجه الاول وترك الثاني وهما من واد، والجواب عن الأول ان إمكان معرفة صدق النبي لا يوجب اتباعه بل الموجب معرفة صدقه بالفعل وقد فرضنا امتناع المرسل اليه عن تعرف ما لا يجب عليه تعرفه ولو قال النبي كما قلتم يمكنك معرفة صدقي قبل العلم بوجوب المعرفة لكان من جوابه نعم ولكن ليس لك إلزامي بنفس الامكان اذ الممكنات كثيرة هذه أمدها فان ادعيت لهذه الحادثة خصوصية يبلغ بها الوجوب فهو اول المسئلة ولا جواب للرسول حينئذ وبهذا اعترضه المضد وغيره والجواب عن الثاني ان هذا من تكليف الصافل الذي اتفقنا على امتناعه ودعوى الفرق بينهما بأن

(المارج ٧ م ١٣) الحجة الثالثة للمتمزة على التحسين والقيح ٥١٥

هذا يمكنه النظر وذاك لا يمكنه لا يمكنني لأننا الآن فرغنا من بيان انه لم
يقم حجة على المتع في النظر فهو معذور عن النظر واذا عذر لمدم
الحجة فلا عقاب على ما المرء معذور عنه فلا يتحقق في حقه الوجوب
الشرعي الذي ادعيتم إذ لا يجتمع بوجوب الفعل والمذر عنه لأن المذمور
لا يذم ونارك اواجب يذم والفرق المدعى خارج عن الجامع وبمجرد ترويج
ان مجتمعا عدم قيام الحجة والامكان في حق هذا دون ذلك لا يتم فارقا
لتروجه عن محل النزاع ومثله الفرق بين التكليف بالحال لنفسه والحال
لغيره كالتكليف بالجمع بين التقيضين وتحمل الواحد منا جبل أحد الى
مكة مثلا.

ولا يتبس عليك هذا بالتكليف ايجاد ما علم عدم وجوده فانه لا احالة
فيه ألبتة فانه لو اخبر الصادق انك لا تقوم من مقعدك ربما تلو
الفاخرة فانك تعلم تمكنك من القيام والبقاء على السواء كما كنت قبل خبره
لكن خبر الصادق دل على وقوع أحد الجائزين فانه لا بد للجائز من
أحدهما ولا دخل للعلم في تأثير احالة ولا امكان وكيف يؤثر التابع في
التبوع فليتأمل جدا. ومحل هذه مسألة الافعال فان ذكر والا فقد كفاك
هذا أيها المدرك فليتأمل هذا طالب النجاة ، وليتخبط تماما التعصب
من أخذ اليه هواء ، أما قولهم في هذا المقام الوجوب عندنا ثابت
بالشرع نظر أولم ينظر فمصادرة فان ذلك نتيجة البحث فكيف يحمل
بعض مقدماته

وحاصلة انا نقول لو كان الوجوب بالشرع دون ان يدركه العقل
لزم إفحام الانبياء فلا يقوم لهم حجة لا نسياد طريق الشرع بعدم النظر

٥١٦ حجج الاشارة على نفي التحسين والتفيع - الاولى (المارج ٧م ١٣)

ولا يمكن إزام النظر قبل ثبوت الشرع فلما لم يجدوا مخلصا عن افعال الانبياء رجعوا الى نفس الدعوى وقالوا الوجوب عندنا قد ثبت بالشرع قبل النظر فيمن يصل اليه فينظر أو لا ينظر فكأنهم قالوا عدم قيام الحجة للنبي لا يضرنا لان نفس الوجوب لا يتوقف على لزوم امتثال المكلف ذلك الواجب. اذا حققت هذي عرفت انه كلام فارغ فانه قد قال خصمهم سلمنا الوجوب كما تدعون لكن يلزم عليه افعال الرسل فكيف يقال الوجوب ثابت عندنا بالشرع نظر أو لم ينظر والمطلوب انما هو التخلص من افعال الانبياء لتقوم لهم الحجة على المكاف وليس النزاع في نفس ثبوت الوجوب اذ قد سلمت نزلا انما الكلام في لزوم عدم قيام حجة الانبياء فاعرف ان هذا الخبط من الاذكياء له شأن والله المستعان وأما حجج نقاة التحسين والتفيع المقلين فالتعويل عليها أضف من التعويل على نفس حجج المثبتين لهما كما سيتضح لك



﴿ الحجة الاولى ﴾

ما اعتمده ابن الحاجب في مختصر المنتهى وهي انه لو حسن الفعل وقبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لذاته والجواب ان هذا مبني على ان الطلب صفة ذاتية متميزة عن العلم والارادة وخصمكم ينكر ذلك كله ولم يتم لكم ذلك بدليل ناهض فهو بناء على غير أساس ومع تسليمه فالتملق (بالكسر) من حيث انه متعلق تابع لمتعلقه فلا يتحقق التعلق بدونه وذلك لا ينافي كون تعلقه لذاته كما قاله الجميع في العلم ولهذا اعترضه سمد الدين . وزبدة هذا وحاصله ان تعلق التعلق بشيء وكان ذلك

(المخرج ٧ م ١٣) حجج الاشارة على نفي التحسين والتبجح - الثانية ٥١٧

الشيء ذا أوصاف متغايرات فالطلب تعلق بفعل له صفة الحسن مطلقا
لا بمطلق الفعل ووضع هذه الحجة السابقة مبني على نفي الحكمة بل
على احالتها فلينأمل



﴿ الحجة الثانية ﴾

لو كان يثبت للفعل صفة الحسن والتبجح لا باختيار مختار كما قالت
المعتزلة والبارئ تعالى ليس الامينا لما ثبت في نفس الامر - لم يكن تعالى مختارا
في الحكم بل يكون كالتبجح والقاضي بين الحكم ثم يلزم أو يتوعد على عدم
الامتثال وتوعد عليه بالثواب والعقاب (الجواب) ان أردتم انه ليس مختارا
في جعل الحكم حكما فهو عين مذهب خصمكم وهو أول البحث كما مر
توضيحه وان أردتم انه ليس بمختار في التبيين والالزام على معنى انه ليس
له ان يخبر بحكم غير ثابت في نفس الامر ولا ان يلزم به فهو كذلك ايضا
لان الاخبار لا بد ان يطابق والا كان كذبا وكذلك الالزام لا بد من وجه
حامل عليه كما مضى تقريره وكل ذلك لا ينافي الاختيار وان أردتم انه يصير
مضطرا الى التبيين حتى يكون بمنزلة الواجب غير المختار فلا وجه للزومه
وهو ظاهر

وعلى الجملة فهذه الحجة بينة السقوط لان اللازم منها غير مذهب
الخصم أو ما عدم لزومه بين . أما التشنيع بقولكم كالتبجح والقاضي فشيء
يستخف به الجاهلون ولم يجيء بشيء بدع فان هذا شأن الماهيات كلها كما هي
القديم والواجب والممكن والمستحيل والضد والتقيض والنفي والاثبات
وسائر الماهيات فتمتقررة بخصوصياتها التي بها تمايزت وتقررت وعلمت

١٨٥ الآيات الدالة على حسن الاشياء وقبحها في نفسها (المخرج ٧ م ١٣)

وقد قرر الله سبحانه على من لم يفرق بين ماهيتين بالاستفهام والتعجب والانكار كقوله تعالى « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون - أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحيام ومماتهم سواء ما يحكمون - أفمن يخلق كمن لا يخلق - أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار » الى غير ذلك وقال الله سبحانه « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » وقال تعالى « ان ربي على صراط مستقيم » وقال تعالى « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وقال تعالى « والله لا يحب الفساد » وقال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » وقال تعالى « ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله - ان الله لا يظلم الناس شيئا - ان الله لا يظلم مثقال ذرة - هل جزاء الاحسان الا الاحسان » الى غير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على ان المنيات والمأمورات متفرقة كتقرر القديم والحادث والنفي والاثبات فمن قال لافرق بين الاحسان والاساءة الا بحسب اعتبار الاعتراف وانه لا معنى للفاحشة مثلا الا ذلك المتعارف والافهي والايان سواء في الخلو عن الحكم وفي نظر الشارع وانما اتفق الامر باشيء والنهي عن اشياء لجرد الاحسان لا لحامل ايضا فمن كان هذا شأنه فراقه ما في انصافه مطمع لكن كثرة المقلدين للاشعري في هذه المنفوات الجأ المتدينين الى الاعذار معذرة الى ربنا وكفى به حكما

ثم انا نبين الآن ان هذا الامر اعني كون الحكم غير واقف على اختيار مختار في كونه حكما لازما لوما بينا على قواعد الاشارة وبيانه ان الحكم

(المترج ١٣٧٧) نفسية التقليد على العقول. ادراك الآخرين ما قامت الأوابن ٥١٩

عندم خطاب الله والخطاب القولي الذي هو من صفات الفعل اتفاقا على وفق النفسي وعجاجة عنه فقوله مثلا « أحل الله البيع وحرم الربا » لا بد أن يكون معنى حل البيع وحرمة الربا متضمنا له الكلام النفسي والنفسي غير مختار فيه وتعلقه لذاته كما هو شأن القديم وهم أيضا مصرحون بأن الحكم قديم والقديم غير مختار فيه اتفاقا والبارئ تعالى انما يبين لنا ما ثبت في الازل ويلزمنا امثال الجري على مقتضاه فالحكم اذا ثبت بلا اختيار مختار اتفاقا ويتمين على هذا محل النزاع ويختصر في جهتين احدهما هل يطل ثبوته الاشاعة لا لقدمه؟ المترلة (١) نعم لا مكان التطيل ثانيهما هل يدرك العقل مستقلا بمحض جزئياته؟ المترلة نعم. لا مكان معرفة الموجب له وهو كون الفعل ظلما مثلا واحسانا. الاشاعة لا. لانه غيب محبوب وهذا التعقيق والالزام مع وضوحه لم أر من ذكره ولا ما يقرب منه ولا زلت اسائل من أظنه أهلا لان يسأل فا كان مطمح نظري الا أن يفهموا السؤال ولم يكن واما الاستيقان واستقلال عقولهم بحقيقة الامر وشفاه السائل قرام بعيد، وصرى حال دونه حجب التقليد، فليتأمله من بقي من المنصفين بين الجد والانصاف (٢) فكل مبتكر محل لاجالة النظر ولا يمنعه الالتفات

(١) اي قول المترلة في الجواب نعم الخ وسيأتي جواب الاشاعة بهذا السؤال

الثاني اه مصححه

(٢) تأملناه فوجدناه حقا بل هو ما هدانا الله اليه قبل الاطلاع على هذا الكتاب

بنتين ولنا كلام يدل عليه وللمصنف فضل التقدم بحسب علمنا فانا لم نره لاحد من قبله . وما يؤيد القرآن من السنة في هذه المسألة حديث الاعرابي الذي اسلم فأصر النبي (ص) ان يعلموه الصلاة فعلموه الناحية وسورة «اذلزلت» وارادوا أن يعلموه سورة اخرى فقال حسبي هذه حق أعلم بها (فن يصل متقال فدره خيرا براه) ومن

٥٢٠ الحجة الثالثة للإشاعة « وما كنا معذنين » (المخرج ٧ م ١٣)

لقولهم : ماترك الاول للآخر ؟ فانه يكفي في معارضة هذه اللفظة قولهم :
 كم ترك الاول للآخر ، وفقه درابن مالك حيث يقول اذا كانت العلوم منحا
 الهية ، ومواهب اختصاصية ، فقير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ،
 ما حصر على كثير من المتقدمين ، نعم ذاقه من حسديسد باب الانصاف ،
 ويصد من جميع الاوصاف ، انتهى



﴿ الحجة الثالثة ﴾

« السنية »

وهي اشتمها بحسب الظاهر وهي قوله تعالى « وما كنا معذنين
 حتى نبعث رسولا ، ووجه الاستدلال انه تعالى أخبراته لا يذب بدون
 بعثة الرسول ومن قال العقل مستقل لقيام الحجة يلزم على قوله أن يسوغ
 التعذيب (الجواب) أن هذه مصادرة على المطلوب^(١) لان النزاع في جواز
 التعذيب لاني وقوعه وكم من جائز غير واقع وما قاله المضد وجرى عليه
 السعد وقلها الناس انه انما لزمتم الحجة لمنع المنوع عقلا عند المنزلة فقلط
 على فقلط لان هذه الحجة ذكرت لرد هذا المذهب وقد عرفت ان القائل به
 اعم من ذلك ولا ملازمة بينه وبين منع المنوع عقلا والقائل بعدم المنوع عقلا
 شريطة من البعدادية وسائر أهل هذه المقالة قائلون بجواز المنوع عقلا

 يسئل منتال ذرة شر اير ، فأصرهم النبي (ص) ان يتركوه وشهد به بأنه فقه في دينه
 وما كان فقهه الا العزم على ترك كل ما يعتقد انه شر وفعل كل ما قدر عليه مما يعتقد انه
 خير فأقره النبي (ص) على تحديد الخير والشر بجهاده وعقله اه مصححه

(١) الاشب معالجة اه من هاشم الاصل

(المارج ٧ م ١٣) الحجة الثالثة للاشاعرة « وما كنا متذيين » (٥٢١)

وكثير منهم يقولون بجوازه سما ونحن منهم كما هو قول اكثر الامة
والحقيين المنصفين غير المتجرفين بل صريح الكتاب والسنة اللذين لا يمدل
بهما ولا يبول على غيرها ومن عجائب المضد والسعد انهما ذكرا هذا
الكلام السابق فيما يختص الجبائية من الرد فكان غلطا على غلط وهذه
مسألة خلاف بين المعتزلة والجبائية بل البصرية بأسرها يجوزون المنو
عقلا والكمي واتباعه يمنونه فهي ما اشتر فيه الخلاف بين أهل المصريين
لكن مثل هذه الاشياء أصلا ما ذكرت لك آتقان عدم الاحاطة بمذهب
الخصم لعدم صرف المهمة اليه ، فيجهله فيجهل عليه ، شنشنة من عدم
الانصاف ، الذي هو أصل الخلاف ، فهذا شيء كثير جربناه في قل
الاشاعرة عن المعتزلة والعكس بحيث يتمتع النصف من قبول اقدم على
الآخر والنلط على المعتزلة أكثر منه في العكس فرب ان كنت تدعي
انك صادق المهمة فليس شاهدا بأسوا التجربة

نم هذه الآية الكريمة حجة على البغدادية في منبهم المنو عقلا
وهذا مذهب ريك قادم اليه القول بوجوب اللطف مع القول بأنه لا
وجه للتعذيب سواه ، والمذاهب ثلاثها كل منها أوهى من الآخر اعني
مذاهب البغدادية المذكورة غير انه بقي لهم هنا عنذر ان لم ينصوا على
خلافه وهم أنهم انما علوا الواقع من المذاب بأنه انما وقع لانه لطف وكل
لطف واجب فاذا جاء الشرع بعدم تعذيب أهل الفترات مثلا فلا يلزمهم
القول بتعذيبهم فليتهم يحفظ هذا حذرا من النلط عليهم وهو وجه وجيه
يعدم عن التشنيع ، ان ادركه من علم الله سبحانه حسن الصنيع

(المارج ٧) (٦٦) (المجلد الثالث عشر)

٥٢٢ الحجة الثالثة للإشاعة « وما كنا مذميين » (المارج ٧م ١٣)

لا يقال في الآية وجه آخر من الاحتجاج غير ما ذكرناه وهو ان قولهم ما كنت فاعلا وما كنت لأفصل ففواه ان هذا الامر لا يلائم حالي ولا يليق بي كما قال تعالى « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا » وهو بمعنى الاول ثم قال « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون » وغير ذلك من الآيات وغيرها لا تجد الاستعمال الا هكذا ولذا يفسرها الترخشي واضرابه من قول العربية بقولهم أي ما صح وما استقام وليس بمستنكر ان يدل مجموع كلام على معنى لم يحصل للأفراد مع تفرقها كما قالوا في قولهم كان يفعل كذا انه يفيد الاستمرار وقد قيل ذلك في فعل على اقراده ومدلول الفعل المطابق من حيث هو انما هو الحدث الذي من شأنه وحقيقته التفضي وقد قال السعد في موضع من حاشية الكشف: واعتبارات البلاغ دالة رابعة كما ان المادة طبيعية خامسة: هذا لفظه وقد مر لنا عليه هناك مناقشة وفي الكشف بل في فن البيان كله شيء كثير من هذا فليختبر، فهذا تنبيه وهو معنى خصوصية التراكيب التي وضعوا لها في المعاني، ومن ذلك دالة الاستثناء في جاءني القوم الازيدا فان افراد هذا التركيب لا يدل على عدم مجيء زيد لكن زعم بعضهم ان دفع فهم عدم مجيء زيد كدفع الضرورة وذكر ذلك في المطول فمع تمام ذلك يكون مما ذكرنا والله أعلم

وإذا كان لا يليق بالحكيم ولا يلائم شأنه التعذيب قبل البعثة فهو معنى ان الحجة لا تقوم قبل الشرع اذ لو قامت حينئذ لكان التعذيب ملائما ثم رأيت الاسنوي قد أشار الى هذا الوجه في شرح المنهاج بعد ان

(المخرج ٧ م ١٣) تمة حجج الأشاعرة الثلاث ٥٢٣

قلته نظرا فنقول لا يضرنا ذلك أما أولا فهي محتملة بقوة ان المراد عذاب الاستئصال بدليل السياق لان العذاب مطلق فهو مع القيدين على سواء أعني الدنيوي والأخروي والسياق معين لاحد القيدين وان عمننا فلا يضرنا أيضا لانا نقول انه قد يقال ذلك في ما يحافظ عليه أهم من ان يكون متحما أو غير متحتم بقول ما كنت لا ترك إخراج الزكاة وما كنت لا ترك فضيلة صدقة النفل وحاصله تنزيل ما ليس بتحتم .نزلة التحتم بجامع العدم على المحافظة والآية من القسم الثاني جما بين الادلة فالبارئ تعالى اسمه رحمةه وبالغ حكمته يقول ما كنت لا كتني بمجرد حجة العقل حتى أردفها بحجة السمع ، مبالغة في الإعذار ، وقطعا لئلا المبطلين الاغمار ، كما قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحطه بيمينك اذا لا رتاب المبطلون » وحكي عنهم هنا على فرض عدم الرسول الاعتلال بعدمه كما كان يقتل المبطلون بكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قارنا كاتبنا وليس ذلك من شرط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا اسند الارتباب الى المبطلين وقال هنا « ولو أنا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولا فنتبع آياتك » وفي هذه الآية نفسها دليل على ما نحن فيه لمن له فهم وذوق والله الموفق .

ونظير هذه المسألة ان المتزلة قالوا لو كان للكافر لطف في المقدر ولم يفته له لم يتم عليه الحجة سهل لهم اقتحام ذلك ما رأوا من مبالغة الله سبحانه وله الحمد بالالطاف وانواع الترغيب والترهيب وقد قض ذلك سبحانه بقوله « قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » واعتذارهم بعيشة الاكراه ساقط اذا لا نسلم تسميته ذلك هداية لئنا ولعلنا نعرض لهذه

٥٢٤ خاتمة التحسين والتقيح (المخرج ٧ م ١٣)

المسألة فنستوفي الكلام منها والا فهذا تنبيه كاف للمنصف
هذه الحجج الثلاث هي التي اعتمدها ابن الحاجب وشراح كتابه
وغيرها ركيك كتولهم يلزم ان يكون فعل العبد كالإيمان مثلا أشرف
من فعل الله تعالى كالشيطان وهذه هي الشبهة التي زعموا ان ضرارا وجمع
عن الاعتزال من اجلها ونظير هذه الحجة ما قاله المشركون للمسلمين انهم
يقتلون ما يقتلون وهو المذكاة وتمحرون ما يقتله الله سبحانه وهو الميتة
فأنزل الله تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا، ولو شاء ربك ما فلأوه فذرم
وما يفترون» ولتصني اليه اقدمة الذين لا يؤمنون بالأخرة ولا يرصوه وليقتروا
مام مقترون» أفتيرا لله أبتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا،
ومزى هنا الحديث السيوطي في أسباب النزول الى الحاكم وأبي داود
وغيرهما من حديث ابن عباس وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس
قال لما نزلت « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ارسلت فارس الى
قريش ان خاصموا محمدا فتولوا له ما تذبحه أنت بيدك بسكين فهو حلال
وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعني الميتة فهو حرام!! فنزلت هذه الآية
« وان الشياطين ليوحون الي اولياتهم ليجادلوكم » قال: الشياطين من فارس
وأولياتهم من قريش

أبو حامد الغزالي^(*)

٨

﴿ تكفير المتكبرين له ورأيه في الردة والكفر ﴾

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره
وشره من الله تعالى ، والاسلام ان تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتبج البيت ان استطعت الى ذلك سبيلا
هكذا فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤمنا
مسلمًا لا يخرج من الاسلام الا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول (ص) من أمر
الدين علما انه جاء به غير متأول فيه . وما عدا ذلك من مخالفة احكام الدين
بالتقول او الفعل او الاعتقاد يعد خطأ وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يصدر
صاحبه فيه كجهل الدقائق والامور الخفية ومنها ما لا يصدر فيه الا اذا كان قريب
الهدى بالاسلام كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق
والتقول على الله بغير علم ، والحساب على الله تعالى .

وقد مضت سنة النبي (ص) وسيرة اصحابه (رض) بتحامي تكفير أحد
من يظهر الاسلام ويصلي الى القبلة وان ظهرت عليه آيات النفاق وكانوا يصدرون من
أخطائي شيء من أمر دينه ويتلطفون في تعليمه وما زال امر المسلمين على هذه السنة
حتى ظهر فيها الابتداع وصار لأهل فرق وشيع يدعوون اليها ويتناضلون دونها فكان
منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما افردوا به وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم
الذين تقاوا الدين بالتقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة . وقد كان
من امر أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أن قاتل الخوارج المتبذعين وصلى على

(*) تابعه للاقترا في (من ٨٢٢) من المجلد الثاني عشر

٥٢٦ حدوث مذاهب أهل السنة . فنة التكفير (المأرج ٧ م ١٣)

قتلاهم ولم يكفرهم بيدعتهم . فكان مما امتاز به أهل السنة والجماعة على أهل البدعة والفرقة أن أهل السنة لا يكفرون احدا من أهل القبلة لأنهم يجمعون الكلمة ويتقون الفرق في الدين لشدة نهي كتاب الله عنه ووعيده لمن يقرفه . ولم تكن السنة مذميا ولا مذاهب لبعض المسلمين فيتمصبون لها على غير أهلها بل كان كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من السلف يذرون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصاون معه كما كان يفعل الصحابة (رض)

ثم حدثت المذاهب في الجماعة المنسوبة الى السنة فكانوا شيئا كل شيمة تشي الى امام من العلماء الذين كانوا على السنة وتمصب لما قل عنه وعن أتباعه وكل من انقرب اليه ثم تدرجوا من التمصب لاسوء مذهبهم الى تخطئة سواء من متبعي غيره من المذاهب المنسوبة الى علماء السنة مثل مذهبهم ثم الى التضييل ثم الى التكفير لهم وللعلماء المستقلين اذا خالفوا مذهبهم وهم مع هذا يترفون بأنهم مقلدون وليس من شأن المقلد ان يبحث في تخطئة أحد لأنه تابع لغيره ولا علم له في نفسه وقد حدث من جراء هذه التمصبات قتل كثيرة سودت بها صحائف التاريخ

ان ظهور فنة التكفير التي احدثها أهل البدعة في المنسبين الى السنة جعل مصابها عاما في المسلمين حتى كانت السبب في وقوف حركة العلم دون بلوغ غايته المرجوة فيهم بل في رجوعه القهقري لأن الاشتغال به صار محصورا في قفهم كل جبل بعض كتب الأجيال التي قبله دون ان يكون له حكم مستقل في المسائل ومن لا يكون له حكم لا يكون له علم وهذا هو معنى ما قل من اجماع سلفنا على ان المقلد لا يسمى عالما وعلى إطلاق أهل القرون الاولى لفظ العالم بمعنى المجتهد ولفظ الجاهل على المقلد وان تمل الكتب بحثا وفهما . وكيف لا يرجع العلم القهقري اذا كان من أنهم الله عليهم بالقرائح الذكية والاذهان الورذعية لا يستطيعون ان يشكروا الله عليها باستعمالها في استنباط مسائل العلوم إما خوفا من تكفير الناس إياهم اذا هم جاءهم بغير ما وقف جهلهم عنده واما لاقتقادهم أن ذلك من العبث لانه لا ينتفع به أحد ، وان هم استعمالوا عقولهم والحال ما ذكر فاتها لا تأخذ حظها من الاستقلال ، ولا تبلغ الغاية في حلبة السباق ، ومن نصباء جمال العلم فحطه عاشقا

(التاريخ ٧ م ١٣) الفزالي . انتقال بدعة التكفير في زمانه الى أهل السنة ٥٢٧

مستهترا ، لا ينجده من غرابة مهربا ، تتم به في خلواته ، وحجب محاسنه عن اصدقائه وعدائه ، فان اضطر الى الكلام ، لاذ بالكنايات والاشارات والألغاز ، أصبوا الى الشرق ان كانت منازلها في جانب الغرب خوف القيل والقال أقول في الخلد خال حين أنها خوف الوشاة وما في الخلد من خال فني تستبر عقول عامة المسلمين بمبادي العلوم التاريخية فتعلم ان أصحاب العائم من المقلدين الجاهلين ، قد أخذوها عسكرا لمحاربة العلم والدين ، بتضليلهم وتكفيرهم للعلماء المستقلين المصلحين ، وأنهم بذلك مخالفون لهدي السنة التي كان عليها الأئمة الذين يدعون اتباعهم والانتساب اليهم لأن أولئك الأئمة متفقون على عدم تكفير أحد يشهد بواحدنية الله تعالى و بصدق رسوله محمد (ص) في جميع ما جاء به عن ربه عز وجل وإن خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم بل وإن خالف النصوص متأولا لا جاحدا ، وقد صرح بعض فقهاءهم بناء على ذلك الأصل المجمع عليه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه اذا وجد منه قول قوي بكفر أحد وقول واحد ضعيف بإيمانه فيجب ان يفتى بهذا القول ويحكم بإيمانه

بعد هذا التمهيد أقول إن أبا حامد الفزالي رحمه الله تعالى كان من أصحاب تلك اللوذعية والفظانة التي لا يرضى من أوتبها بكفر نعمتها وعدم استعمالها ، وإن بدعة التكفير كانت قد انتقلت في زمنه من المنتدعة الى المتسعين الى السنة ، وإنه حين في أول عهده بالاستقلال في العلم عن إظهار ما حالف نيه اجتهاده ما عليه جمهور أهل عصره ثم اظهر بعض ذلك في الاحياء مع المداراة ، ونوع من الحجارة ، ثم قوي دينه وكل يقينه فصرح في بعض كتبه المختصرة (كالتسطاس المستقيم) بما لم يصرح بمثله في الاحياء الذي ذم فيه التقليد في مواضع كثيرة وجرى فيه على تقليد الشافعي في أكثر الاحكام أو جميعها

هاج ذلك منه أصحاب العائم ، وسكة الاثواب المباعب ، وعجزوا عن مناظرته فجردوا عليه سلاح الجهل والابتداع ، ورموه بالكفر والالحاد ، كما فعل أقاتهم وأضرابهم

٥٢٨ فصل التفرقة - محاربة المصلحين بالكفر (الماراج ٧م ١٣)

الى الآن ، فلم يعبا بجهلهم ، ولم يرجع الى باطلهم ، ولا سكت عن إنارة الأذهان ، بما وصل اليه من العلم والرفان ، وهكذا كان المصلحون وهكذا يكونون ، الى ان تستنير العامة فتميز بين الملاء المستقيين ، وبين الأذعياء الجاهلين ، فيعود للامة الاسلامية بجدتها ، وتطلع بعد الأفول شمس سعدها ، والعاقة للتقين ، وتعلن نبأ بجدحين ،

فصل التفرقة بين الاسلام والزندة

كتاب وجيز كتبه في هذه المسألة ابو حامد رحمه الله تعالى جوابا لمن بلغه تكفير بعض المتعصين إياه ، قال في أوله بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله واصحابه مانصه

«أما بعد فاني رأيتك أيها الأخ المشفق ، والصديق المتعصب ، موغرا الصدر منقسم الفكر ، لما فرغ سمك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أصرار معاملات الدين ، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين ، وان العدول عن مذهب الأشعري ولو في قيد شبر كفر ، ومبايسته ولو في شيء ، نزر ضلال وخسر ، فهون أيها الأخ المشفق المتعصب على نفسك ، لا تضيق به صدرك ، وفل من غر بك قليلا ، « واصبر على ما يقولون واهجرم هجرا جيلا ، « واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ، فأني داعم أكل وأعقل من سيد المرسلين ، (صلى الله عليه وسلم) وقد قالوا انه مجنون من المجانين ، وأي كلام أجل واصدق من كلام رب العالمين ، وقد قالوا انه أساطير الأولين ، وإياك ان تشتغل بخصامهم ، وتطمع في إحقاقهم ، فتطمع في غير مطعم ، وتصوت في غير مسمع ، أما سمعت ما قيل

كل العداوات قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك من حسد
ولو كان فيه مطعم لاحد من الناس ، لما تلي على أجلهم رتبة آيات الياس ، او ما سمعت قوله تعالى (وإن كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبغني نقاتي الأرض أو سما في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يرجون « فقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى اولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوا بأيديهم

قال الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كان ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن
ا كثرهم بجهلون) ٥١

أقول يريد أبو حامد رحمه الله تعالى ان مثل هؤلاء الشيوخ الحاسدين المتعصبين
على تقليدهم للأشعري كمثل أولئك المشركين لاني الشرك والكفر بل في الحسد
والتعصب وجعل همهم كله في إهانة من حسدوه وإظهار انه على باطل وعدم توجيه
أذهانهم الى فهم ما هو عليه والنظر في دليله ، بل توجيهها الى مكابرتة أو تأويله ، وهكذا
يفعل أشباههم في الحسد والتعصب اليوم : ندعوهم الى الكتاب والسنة ، ونطالبهم
بالآية والحجة ، فيأبون الا التبرز بالاقاب ، والهجر والسباب ، ثم ذكر أبو حامد
أن هؤلاء لم يبق فيهم استعداد لمعرفة الحق في الايمان والكفر وطال ذلك بقوله
« واني تتجلى اسرار الملوكوت قوم الآههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبيلهم
دراهمهم ودنائيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، واراדתهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم
خدمتهم اغنياهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكذبهم سواوسهم ، وفكرهم استنباط الحيل
لما تقتضيه حشمتهم ، فهؤلاء من أين تميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان » ٥٢
ثم ذكر أن جل بضاعتهم في العلم البحث في النجاسة ، وما أشبه ذلك مما لا يحلو
بصيرة ، ولا يطهر سريرة

زلزال المقلدين وشأنهم

بعد تلك الفاتحة ذكر أبو حامد فصلا في حال المقلدين موجبا الكلام الى مخاطبه
قال : (فصل) فأما أنت اذا أردت ان تتزوع هذه الحسكة من صدرك ، وصدور
من هو في حالك ، ممن لا تحركه غواية الحسود ، ولا قيده عماية التقليد ، بل تعطشه
الى الاستبصار لحزارة اشكال اثارها فكر وهيجا نظر . فخطب نفسك وصاحبك
وطالبه بجد الكفر فان زعم ان حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري او مذهب
المعتزلي او مذهب الحنبلي او غيرهم فاعلم انه غرٌّ بليد ، قد قيده التقليد ، فهو أعمى



من العميان ، فلا تضع باصلاحه الزمان ، وناهيك حجة في الحامه ، مقابلة دعواه بدعوى خصومه ، اذ لا يجدين نفسه وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقا وفصلا .
ولعل صاحبه يميل من بين سائر المذاهب الى الاشعري ، ويزعم ان مخالفته في كل ورد وصدر كفر من الكفر الجلي ، فاسأله من أين ثبت له ان الحق وقف عليه ؟ حتى قضى بكفر الباقلائي اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم أنه ليس هو وصفا لله تعالى زائدا على الذات ولم صار الباقلائي اولى بالكفر بمخالفته الاشعري من الاشعري بمخالفته الباقلائي ؟ ولم صار الحق وتعالى أحدهما دون الثاني ، أكان ذلك لاجل السبق في الزمان ؟ فقد سبق الاشعري غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه ، أم لاجل التفاوت في الفضل والعلم ؟ فأبي ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده ؟ فان رخص الباقلائي في مخالفته فلم حصر على غيره ؟ وما الفرق بين الباقلائي والكرائدي والقلانسي وغيرهم ؟ وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة ؟ وان زعم ان خلاف الباقلائي يرجع الى لفظ لا تحقيق ورواء كما تصف بتكلفه بعض المتحصين زاعما انها جميعا متوافقان على دوام الوجود والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات او الى وصف زائد عليه خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي في نفيه الصفات ، وهو مصروف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات ، قادر على جميع الممكنات ، وانما يخالف الاشعري في أنه عالم وقادر بالذات او بصفة زائدة فما الفرق بين الخلفين ؟ وأي مطلب أجل وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها وإثباتها ؟ فان قال انما اكفر المعتزلي لانه يزعم ان الذات الواحدة تصدر منها قائمة العلم والقنوة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة والحقائق المختلفة نستحيل ان توصف بالأتحاد او تقوم مقامها الذات الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعري قوله ان الكلام صفة زائدة قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحد (؟) هو توراة وأنجيل وزبور وقرآن وهو أمر ونهي وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك الى الأمر والنهي فكيف

تكون حقيقة واحدة تطرق اليها التصديق والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفي والاثبات على شيء واحد فان تخط في جواب هذا او عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم انه ليس من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعا تابعا واماما لاموما فان خاص المقلد في الحاجة فذلك منه فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد، وطالب لصلاح الفاسد، وهل يصلح العطار ما فسد الدهر، ولعلك ان انصفت علمت ان من جعل الحق وقفا على واحد من النظار بعينه فهو الى الكفر والتناقض اقرب. اما الكفر فلانه نزله منزلة النبي المصوم من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقه، ولا يازم الكفر الا بمخالفته، واما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر وان لا ترى في ذلك الا مارايت وكل مارايت حجة وأي فرق بين من يقول قلدي في مجرد مذهبي وبين من يقول قلدي في مذهبي ودليلي جميعا وهل هذا الا التناقض « اه

أقول أيسر بهذا من يجاون في هذا المصرا با حامد ويعبرون عنه بالامام وحجة الاسلام فيكفون عن الطعن في العلماء المستقلين الذين يدعون الامة الى البصيرة في دينها والاهتداء بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ام يحملهم الحسد على الاصرار على الطعن فيهم وتغيير العامة منهم بذلك اللتب المقوت عندهم (الاجتهاد) ويوهونها ان دعاء الكتاب والسنة، بمنونها من اتباع الأئمة، والصواب الذي بمنها من ذلك اولئك المقلدون الجاهلون الذين لم يتبعوا الأئمة في الاهتداء بالكتاب والسنة ولا قرءوا كتبهم وانما يريدون ان تكون العامة وراءهم متبعة لهم والمستقلون لا يدعون احدا الى اتباعهم وتقليدكم في شيء قط وانما يدعونهم الى الرجوع الى الاصل

حد الكفر وتعريفه

قال أبو حامد : (فصل) لعلك تشمي ان تعرف حد الكفر بعد ان تناقض عليك حدود اصناف المقلدين فاعلم ان شرح ذلك طويل ومدركه غامض ولكني اعطيتك علامة صحيحة فتطرد بها وتمكسها لتتخذها مطمح نظرك وترعوي بسببها عن

٥٣٢ الكفر والإيمان . مراتب الوجود (الملتزم ٧ م ١٣)

تكفير الفرق وتطويل اللسان في اهل الاسلام وانت اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بمول لا إله الا الله محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :

الكفر هو تكذيب الرسول عليه السلام في شيء مما جاء به والإيمان تصديقه في جميع ما جاء به — الى أن قال في اجمال التفريع على هذا التعريف — فكل كافر مكذب للرسول وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة (فصل) اعلم ان الذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كل النور لأن كل فرقة تكفر مخالفاً وتنسب الى تكذيب الرسول عليه السلام فالحنبلي يكفر الأشعري زاعماً انه كذب الرسول في اثبات الفوق لله تعالى وفي الاستواء على العرش ، والأشعري يكفر زاعماً انه مشبه وكذب الرسول في انه ليس كمثل شيء ، والأشعري يكفر المعتزلي زاعماً انه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات العلم والقدرة والصفات له ، والمعتزلي يكفر الأشعري زاعماً ان اثبات الصفات تكفير للأندلس وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك من هذه الورطة الا ان تعرف حد التكذيب والتصديق وواقعتهما فيه فيكشف لك علو هذه الفرق واسرافها في تكفير بعضها بعضاً

فأقول : التصديق انما يتطرق الى الخبر بل الى الخبر وحقيقته الاعتراف بوجوده ما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده إلا ان للوجود خمس مراتب ولأجل الغفلة نسبت كل فرقة مخالفاً الى التكذيب فان الوجود ذاتي وحسي وخيالي وعقلي وشبهي فمن اعترف بوجوده ما اخبر الرسول عليه السلام عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر امثالها في التأويلات :

اما الوجود الذاتي فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل منه صورة فيسمى اخذه ادراكاً وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر بل المعروف ان الذي لا يعرف الا كثرون للوجود معنى سواء

(المنار ج ٧ م ١٣) مراتب الوجود . الحسي . الخيالي . العقلي ٥٣٣

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين بما لا وجود له خارج العين فيكون موجودا في الحس ويختص به الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده المريض المتيقظ إذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد تتمثل للأنبياء والأولياء في اليقظة والصحة صور جميلة محكية لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والألهام بواسطة فيتلقون من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم في النوم وذلك لشدة صفاء باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشرا سويا) وكما أنه عليه السلام رأى جبريل كثيرا ولكن ما رآه في صورته الأمرين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقد قال « من رأى في النوم فقد رأى حقا فان الشيطان لا يتمثل بي » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقاله من روضة المدينة الى موضع النائم بل هي على سبيل وجوده في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبسا من نار كأنه قطعة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة قراء خطا من نار وتحركه حركة مستديرة قراء دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان وهما موجودان في حرك لا في الخارج عن حرك لأن الموجود في الخارج هي قطعة في كل حال وإنما تصير خطا في اوقات متعاقبة فلا يكون الخط موجودا في حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك في حالة واحدة

وأما الوجود الخيالي فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت عن حرك فانك تقدر على ان تتخبر في خيالك صورة فيل وفرس وان كنت مغمضا عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكامل صورته في دماغك لا في الخارج

وأما الوجود العقلي فهو ان يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى فيتقوى العقل مجرد معناه دون ان يثبت صورته في عقل أو حس أو خارج كالأيد مثلا فان صورتها محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو حقيقتها وهي القدرة على البطش والقدرة على البطش هي اليد العقلية وللتام صورة ولكن حقيقته ما تعكس به الماوم وهذا يتلقاه العقل من غير ان يكون محرورا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من الصور الخيالية والحسية

٥٣٤ امثلة تأويلية على مراتب الوجود (الماراج ١٣م٧)

واما الوجود الشبهي فهو أن لا يكون نفس الشيء موجودا لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا في الحس ولا في الخيال ولا في العقل ولكن يكون الموجود شيئا آخر يشبهه في خاصة من خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا إذا ذكرت لك مثاله في التأويلات فهذه مراتب وجود الأشياء

(فصل) اسع الآن امثلة هذه الدرجات في التأويلات . أما الوجود الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذي يجري على الظاهر ولا يتأول وهو الوجود المطلق الحقيقي وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن العرش والكرسي والسماوات السبع فانه يجري على ظاهره ولا يتأول اذ هذه اجسام موجودة في انفسها ادركت بالحس والخيال اولم تدرك

واما الوجود الحسي فأمثله في التأويلات كثيرة واقنع منها بمثلين : احدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش الملح فيذبح بين الجنة والنار » فان من قام عنده البرهان على ان الموت عرض او عدم عرض وأن قلب العرض جما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان اهل القيامة يشاهدون ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجودا في حسيهم لا في الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس من الموت بعد ذلك إذ المذبوح ميؤس منه ومن لم يتم عنده هذا البرهان فساهم يعتقد ان نفس الموت ينقلب كبشا في ذاته وينفخ

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي الجنة في عرض هذا الحائط » فمن قام عنده البرهان على ان الاجسام لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على ان نفس الجنة لم تنقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه يشاهدها ولا يتمتع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما يشاهد السماء في مرآة صغيرة ويكون ذلك ابصارا مفارقا مجرد تخيل صورة الجنة اذ تدرك التنزقة بين ان ترى صورة السماء في المرآة وبين ان تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل

واما الوجود الخيالي فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم « كأنني انظر الى يونس

(المراجع ٧م ١٣) امثلة تأويلية على مراتب الوجود ٥٣٥

ابن متى عليه عبادتان قَطْرَتَانِ بِلِيٍّ وَتَجِيهٍ الْجِبَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ لِيكَ يَا يُونُسَ ،
والظاهر ان هذا إنباء عن تمثيل الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقا
على وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجودا في الحالة
ولا يعد ان يقال ايضا تمثل هذا في حسه حتى صار يشاهده كما يشاهد التأم الصور
ولكن قوله (كَأَنِّي أَنْظُرُ) يشعر بأنه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والفرس الفهم
بالمثال لاعتين هذه الصورة وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل
في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استعانة المشاهدة فيما
يتصور فيه التخيل

وأما الوجود العقلي فأنته كثيرة فاقع منها بمثلين : أحدهما قوله صلى الله
عليه وسلم « آخر من يخرج من النار يعطى من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا » فإن
ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالا بالطول والعرض والمساحة وهو تفاوت الحسي
والخيالي ثم قد يتعجب فيقول إن الجنة في السماء كما دلت عليه غلواهر الأخبار فكيف
تسمع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء ايضا من الدنيا وقد يقطع التأول هذا التعجب
فيقول المراد به تفاوت عقلي لا حسي ولا خيالي كما يقول مثلا هذه الجوهرة أضعاف
الفرس أي في روح الملية ومساها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل
المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده
اربعين صباحا » فقد أثبت لله تعالى يدا ومن قام عنده البرهان على استعانة يده
لله تعالى هي جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يدا روحانية عقلية أعني
انه يثبت معنى اليد وحققتها وروحها دون صورتها ان روح اليد ومعناها ما به يعطش
ويضل ويعطي ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه السلام
« أول ما خلق الله العقل قال - بك اعطني وبك أمنع - » ولا يمكن أن يكون
المراد بذلك العقل عرضا كما يعتقد المتكلمون إذ لا يمكن أن يكون العرض أول
مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل
الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسمى قلما باعتبار أنه تنقش به
حقائق العلوم في ألواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحيا وإلهاما فانه قد

٥٣٦ حد التكذيب الذي به الكفر . عدم تكفير المؤول (المخرج ٧ م ١٣)

ورد في حديث آخر أن « أول ما خلق الله تعالى القلم ، فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز ان يكون لشيء واحد اسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبه الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى ما يصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل وروحا باعتبار ذاته وامينا باعتبار ما أودع من الأسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديده القوى باعتبار كمال قوته ومكينه عند ذي العرش باعتبار قرب منزله ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة

وهذا القائل يكون قد أثبت قلما ويذا عقليا لاحسيا وخياليا وكذلك من ذهب الى ان اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون

وأما الوجود الشبهي فتأله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب مثلا حقيقته انه غلبان دم القلب لارادة الشبهي وهذا لا ينفك عن قصان وألم فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى ثبوتنا ذاتيا وحسيا وخياليا وعقليا نزله على ثبوت صفة اخرى يصدر منها ما يصدر من الغضب كراداة العقاب والارادة لا تناسب الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر من الآثار يصدر عنها وهو الأيلام فهذه درجات التأويلات

(فصل) اعلم ان كل من نزل قولاً من أقوال صاحب الشرع على درجة من هذه الدرجات فهو من المصدقين وإنما التكذيب ان ينفي جميع هذه المعاني ويضم ان ما قاله لا معنى له وإنما هو كذب محض وغرضه فيما قاله التلبس او مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض والزندقة

ولا يلزم كفر المؤولين ماداموا يلزمون قانون التأويل كما سنشير اليه . وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل الاسلام إلا وهو مضطر اليه فأبعد الناس عن التأويل احمد بن حنبل ورحمة الله عليه وأبعد التأويلات عن الحقيقة واغربها أن تجعل الكلام مجازا او استمارة

(المارج ٧ م ١٣) التأويل - قول الامام احمد به ٥٣٧

هو (؟) الوجود العقلي والوجود الشبهي والجنبي مضطر إليه وقائل به قد سمعت النفاة من أئمة الحنابلة يفتاد يقولون ان احمد بن حنبل رحمه الله تعالى صرح بتأويل ثلاثة احاديث فقط احدها قوله صلى الله عليه وسلم « الحجر الاسود يمين الله في الارض » والثاني قوله صلى الله عليه وسلم « قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن » والثالث قوله صلى الله عليه وسلم « اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمين » فانظر الآن كيف اول هذا حيث قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول - اليمين قبل في المادة تقر با الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضا تقر با الى الله تعالى فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض من عوارضه فسي لذلك يمينا وهذا الوجود هو الذي سمينا الوجود الشبهي وهو ابد وجوه التأويل

فانظر كيف اضطر اليه ابد الناس عن التأويل وكذلك كما استحالة عنده وجود الاصبعين لله تعالى حسا اذ من قش عن صدره لم يشاهد فيه اصبعين فتأوله على روح الاصبعين وهي الاصبع العقلية الروحانية أعني ان روح الاصبع مابه يقسر قلب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك ولة الشيطان وبها يقبل الله تعالى القلوب فكني بالاصبعين عنهما وانما اتصر احمد بن حنبل رضي الله عنه على تأويل هذه الاحاديث الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن بمعاني النظر العقلي ولو امن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة فوق وغيره مما لم تأوله، والاشعري والمنزلي لزيادة محشما تجاوزا الى تأويل ظواهر كثيرة وأقرب الناس الى الحنابلة في أمور الآخرة الأشعرية وفقهم الله فاتهم قرروا فيها اكثر الظواهر الأيسراء والمعزلة أشد منهم توغلا في التأويلات، وهم مع هذا - اعني الأشعرية - يضطرون ايضا الى تأويل أمور كما ذكرناه من قوله انه يوتى بالموت في صورة كجش الملح وكاورد من وزن الاعمال بالميزان فان الأشعري أول وزن الاعمال فقال : توزن صحائف الاعمال ويخلق الله فيها اوزانا بقدر درجات الاعمال - وهذا رد الى الوجود الشبهي

(المارچ ٢٠١٣م)

التعاون والتخاذل

٥٣٨

البعيد فإن الصحائف اجسام كتبت فيها رقوم تدل بالاصطلاح على اعمال
هي اعراض فليس الموزون اذا العمل بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل
والمعتزلي تأول نفس الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد
مقدار عمله وهو ابعد عن التصرف في التأويل بوزن الصحائف وليس الفرض تصحيح
احد التأولين بل ان تعلم ان كل فريق وان بالغ في ملازمة الطواهر فهو مضطر الى
التأويل إلا ان يجاوز الحد في الضاوة والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا
والموت وان كان عرضا فيستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب ، والاعمال وان
كانت اعراضا وقد عدت فتنقل الى الميزان ويكون فيها اعراض هي الثقل ومن
يتنهي الى هذا الحد من الجمل فقد انحل من ربة العقل ، اه

باب المقالات

التعاون والتخاذل (*)

نحن في زمن فاز فيه المتعاونون ، وهلك فيه التخاذلون ، سميت فيه أم
بأعمال الجماعات ، وشقيت أم بأسرة الافراد ، فالأم فيه درجات بعضها فوق بعض
فأعلاها ما كثرت فيه الجميات ، المتعاونة على الخير بقدر كثرة الخيرات ، ويليها
ما قلت فيه الجميات فئاتها من الخيرات والمنافع ما فضلها به ما فوقها ، ويعبر عن هذه
الأم بالأم الحية العزيزة ، والحياة والعزة فيها متفاوتة - أو مقولة بالتشكيك كما يقول
المنطقيون - فلذلك يخاف ويرجو بعضها بعضا ، وآية أمة عاقلة تأمن سنة الله في
تنازع البقاء ، وطمع الأقرباء في الضعفاء ؟

(*) نقرأ هذه المقالة والتي تليها بمجموعة الحضارة التي تصدر في الاساتة

(المخرج ٧ م ١٣) علاج مقاومي الإصلاح ٥٣٩

واما الأم الذليلة التي قابل هذه الام فهي في دركات متفاوتة ايضا ادانها
منها في القسمة العقلية ما ليس فيها جماعات تتعاون على الخير ولا على الشر ، ولا
يخذل بعض افرادها بعضا في الاعمال النافعة ، ويلبها في السفل الامة التي يتخاذل
افرادها في الخير فلا يبدي فيها احد لعل نافع لها الا ويتصدى بعض الافراد
لماهضته وخذله . واما الامة التي تعد في الدرك الاسفل فهي التي تناف فيها الجماعات
لتأييد الباطل وعمل المنكر ، ولخذلان الحق ومقاومة المعروف ،

لا يخذل فرد من الافراد ، ولا جماعة من الجماعات ، عملا من أعمال الخير لأتمه مع
الاعتراف بأنه خير ، وانما يخذلونه إهداء انه شر ما او يشتمل على الشر أو يترتب
عليه شيء من الشر ، ومنهم من يعتقد صحة ما يدعي لجوله كنه العمل او لان بفضه
أو حسده للعامل يقرب صورة العمل في مخيلته ويلونه بغير لونه فهو ينظر الى ما في
خياله ويحسب انه عين ما في الخارج ، ومنهم من يضل على علم ويتعمد الفرية
والبهتان ، ارضاء لحسده او حسد من يفره بالمقاومة والخذلان ، أو اعتذارا عن الامتناع
عن المساعدة التي تنتظر من مثله ، وهو يخذل بها ولا يعترف بجهلها ،

الحسود الذي يعني بحسده ، والشحيح الذي يطبع شحه ، وصاحب الهوى
الذي يتبع هواه بالباطل لا مطمع في اتمام شرمه الا باصلاح نفوسهم او مقابلتهم
بحرة لا قبل لهم بها فان كان الاول متعذرا على العامل فالثاني مما يتيسر له الا اذا
فقدت الامة استعداد الخير وكانت في حكم سنن الله في عدد الملوكي . واما من
يخذل العمل النافع لاعتقاده انه ضار فعلاجه سهل وطبه حاضر اذا كان مخلصا قويا
سواء كان سبب اعتقاده الجهل المطلق ، او السخط الذي اراه العمل بغير صورته
الحقيقية ، ولكن قد يصير التمييز بين وبين سيء النية ، او تجهل الطريق لا يصل
العلاج اليه

ليس بين وبين معالجة المخلص الحسن النية الا ان يصل صوتي الى أذنه
او يلقى كتابي بين عينيه ، فيقرأ او يسمع الحجة التي ادلي بها اليه ، وكأني به وقد
زال عنه الغشاء ، وانكشف له النطاء ، فاستبق باب الثواب ، واستغفر ربه وأتاب ،
اقول له الخلاف بين البشر سنة فريزية فيهم لا مطمع في تبديلها فاذا جلتا

٥٤٠ الاختلاف - خطره المحقق بنا (الملتوج ٧ م ١٣)

الاختلاف في الرأي والفهم سببا للتنازع والتخاذل ، نكون سجلنا على انفسنا الفشل الدائم والملاك البطيء او العاجل ، ولا يختلف الناس في شيء كاختلافهم في الامور الاجتماعية وما به تترقى الامم او تتدلى لان كل واحد يدعي العلم بذلك وان كان يقل في الناس ذو العلم الصحيح التفصيلي بمسائل الاجتماع البشري واصلاح احوال الامم ، يقل ذلك في الشعوب التي استبحر فيها العمران وارتقت علومه ، ويكون اندر من الكبريت الاحمر في سائر الشعوب ، فان وجد فيها كان مجهول القدر ، غير متمكن من كل ما يقدر عليه من النفع ، بل ربما كان علمه سبب بلائه ومحته ، واضطره الى الهجرة من وطنه ، وكأين من نبي كريم ، وعليم حكيم ، وصوفي كبير ، وسياسي خبير ، كافاه قومه على ما تصدى له من اصلاحهم باهراق الدم ، او النفي من الارض ، او الضرب او السب ، ثم ظهر في حياته او بعد مماته انه كان هو المصيب وكل من تلاوه من الخطئين الخاطئين

اذا تذكر الخائف هذا ووعاه انتقل به الى البحث في ضعفنا ، وحاجتنا الى دفع الخطر عن انفسنا ، وكون ذلك لا يتم لنا الا بالتعاون والتناصر ، مع ترك التخاذل والتدابير ، فان لم نفعل ذلك كان ما بقي لنا من القوة المسكدة ممزقا ، وكنا نحن الممزقين فاذا هو فقه هذا وتدبره أقول له انا اقوام نجتمع في أمور وتفرق في أمور ، فاذا نظر كل منا الى ما يخالفه فيه غيره دون ما يوافق فيه وجعل ما به الخلاف قاضيا على ما به الوفاق تمزقت قوانا واذا نظر كل منا الى ما به الوفاق فعززه وقواه تتحد قوانا ويستفيد كل منا ويفيد

المختلفون منا في المذاهب متفقون في أصل الدين فلماذا يضع اهل كل مذهب مسائل اختلاف بينهم وبين اهل المذهب الآخر نصب أعينهم فيجعلونها سببا لاضعاف كل منهم للآخر ولا يجملون ما به الوفاق من أصل الدين سببا لتقوية كل منهم للآخر وذلك لا يمنع كلا منهم ان يتفق مع من يوافقه في المذهب على اعمال أخرى تنفعهم ولا تضر غيرهم ،

لماذا يختصم السني والشيعي في بخاري مثلا ولا نفع لاحد منهما في اختصاصها وانما الخسار عليهما مما والربح كله للروسية السالبة لاستقلالها والمستعبدة لها مما ،

ولماذا يتقاتل الزيدي وغير الزيدي في اليمن وهو مما يصف كلاً منهما ، ولماذا لا يتحدثون فيما هم متفقون فيه كأصل الدين والوطن فيقوى كل منهما بقوة الآخر ويبقى حراً في مذهبه لا يجادله احد فيه الا بالتي هي أحسن فلا يعامل المسلم أخاه المسلم الذي يواقفه في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بشر مما أمره الله تعالى ان يعامل به أهل الكتاب الذين يخالفونه في الايمان بخاتم النبيين والمرسلين ، وما انزل عليه من الكتاب المبين ، فان استكبر مخالفته إياه في فهم بعض النصوص حتى فهم كلمة التوحيد فليعلم ان آفة الخطي الجهل وانما يعالج مرض الجهل بالعلم والحلم دون العدوان والبيغي ،

والمختلفون منا في الدين متفقون في أمور أخرى يقوى كل منهما بالارتباط مع الآخرها كالوطن واللغة والجنسية السياسية فلا ينبغي ان يشتغل كل من المسلم والنصراني بمقاومة الآخر بما به الخلاف بل على كل منهما أن يشتغل بالتعاون مع الآخر بما به الوفاق ، فينهضان مما بعارة البلاد وتنمية الثروة وكل ما يتم به تعزيز الدولة ، وهناك الميثة ،

والمختلفون منا في اللغات متفقون في واحدة او أكثر من الجامعات العظيمة التي اشرنا اليها كالدين واللغة والوطن والجنسية فليعمل كل قوم في هذه الدولة مع كل من يشاركون في جامعة ما لتقوية تلك الجامعة ناظرين دائماً الى جهة الوفاق ، متسامحين فيما لا عدوان فيه من جهة الخلاف ، ومن يعب منهم اخاه او يتخذة فيما يخالفه فيه من غير عدوان ولا يبغي من ذلك الخالف فذلك إما غير متقون ، وإما احد الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ،

اذا كان من المصلحة العامة ان يكون الاقوام والجماعات احرارا فيما يتخدمون به الجامعة الخاصة والجامعة العامة فمن المصلحة ايضاً ان يكون الافراد احرارا فيما يتخدمون به اللغة والوطن والدين والدولة ومن يكيد لأحد منهم ليحبط عمله فهو من المفسدين كالذين يكيدون لمدرس لكيلا يُنتفع بدرسه ، أو مؤلف ليصرفوا الناس عن تأليفه ، أو لصاحب صحيفة ينشرها او خطبة يخطبها ، أو مدونة يؤسسها فيذبذبونهم بالاثاب ، ويصدون عنهم الناس ،

سيقول المحرفون ان في هذا القول مناخية الانتقاد ، وابطالا لفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كلاً . ثم كلا . ليس هذا من المنع لما ذكر وانما هو عين الانتقاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهكذا فليكن الانتقاد والامر والنهي : بيان لبطلان الباطل ولحقبة الحق من غير تهيج للمصيبة ، ولا إغراء بالأصرار على الخطية ، الأول يحاسب انفسهم المفرورون الذين يدهون القيام بهذه الفريضة ، ثم يخذلون العاملين بالسعاية والنية ، ولا يوجهون اليهم الانتقاد فيما بينهم وبينهم ، ويعجبوا لماذا يسكتون عن كثير من المنكرات المجمع عليها ، ويؤمنون بتحمل الانكار في المسائل المجتهد فيها ، الا ان الحاسد المكابر لاعلاج له ، يبدأ به حده فيقتله ، الا وان فيها قلناه مقنا للمخلصين ، وذكرك فان الذكري تنفع المؤمنين .

نابذة المدارس والمكاتب (*)

أناخ الصيف بكل كلة ، وضرب الحر بجرانه ، فانشأت المدارس والمكاتب توصلد أبوابها ، وتند على البلاد أزاهر طلابها ، وتهدى اليهم جني جناتها ، فن طلابها من يقادرها موقنا لزيارة الوطن ، وصلة الرحم ، ويسود اليها جم النشاط ، وافر الاحتياط ، ليم المدة ، ويكمل العدة ، ومنهم من يودعها الوداع الأخير ، بقلب الحفيظ ولسان الشكور ، وهم المتخرجون الذين تم فصالم ، وبلغوا في هذه المعاهد رشدهم ، وأن لم ان يخدموا الملة والامة بالاستقلال و يطلبوا بالثبات في خدمتهم درجة الكمال ، يرى الكثيرون من الناس ان الطالب الذي يقادر مهدهم العلم لاجل صلة الامل وهوودة القرني لا يطالب منه في مدة الصلة الا الراحة من تعب الدوس ، وترويض الجسم وترويح النفس ، بما يباح له من الامل والاهو ، وان المتخرج قد استراح

(*) المدارس في عرف الاستانة معاهد العلم الديني القديمة وان قرى فيها غيره والمكاتب معاهد العلم النظامية المصرية ، وكتبنا هذه المقالة في الاستانة فالكلام فيها موجه الى الثمانيين أولاً وبالذات ففيها ما هو خاص بهم واكثر نصائحها عامة . وما نشره هنا اصبح مما نشر بجريدة الحضارة وفيه زيادة

(المارچ ٧م ١٣) نابتة العلم واجباتهم ارشاد الأمة ٥٤٣

من عهد التحصيل والتعلم ، ودخل في طور الاستقلال والتعم ، فما عليه الا ان يهتم بمجم المال ، والتتم بما يقدر عليه من الحلال ، ومنهم من لا يرى قيد الحلال ضروريا ولكنه ربما يشترط المحافظة على عرف الكبراء ، وعادات الاغنياء ، فما عرفوه من المنكرات كان عنده معروفا ، وما انكروه من الفضائل والخيرات كان عنده منكرا ، لهذا كانت سيرة الكثيرين من طلاب العلوم والفنون سبئة في اعتقاد الأمة ، وصورتهم المنوية مشوهة في نظرها العقلي ، فهي تهتم نابتة العلوم الدنيوية بتهمة ، ونابتة العلوم الدينية بتهمة أخرى ، وقد يكون لكل من الفريقين انصار من الامل والامدقاء ، واصحاب الحاجات والخلطاء ، يمتزون بهم ، ويقنعون من الجاه بمصيبتهم ، فينصر أحدهم الآخر ظالما كان أو مظلوما ، ويؤيده لأنما وملها ، فيسري بفلك دود الفساد في جسم الأمة حتى تكون من الملكي ، ويتعارض الجاه بين رجال الدين ورجال الدنيا ، فيتصادم حز باهما ، ويقع الشقاق بينهما

أيها النابتة الجديدة اقد أن لهذا التباين ان يزول ، قد آن التعللين ان يتجردوا من الأهواء والحظوظ ، قد آن لهم ان يملوا ان لا علم فائدة فوق فائدة الحرفة ، وثمرة اشرف من ثمرة الكسب والتجارة ، قد آن لهم أن يملوا ان المدرس والحاكم ، (عامل الحكومة) والطبيب والمهندس ، ووكيل الدعوى ومحروو الجريدة منكم اذا لم يكن لهم غرض من عملهم الا الكسب الذي يعيشون به فلا فرق بينهم وبين الصائغ والحائك والحداد والتجار والحمال كل اولئك يعملون مالا بد للامة منه لاجل أن يعيشوا بثمره عملهم ،

تذكروا ان لكم وراء الكسب بطلكم وعملكم عملاققدرون عليه ولا يقدر عليه غيركم ، ومقاما عاليا يسهل عليكم العروج اليه دون سواكم ، تذكروا انكم اثم الطالبون باخراج أمتكم من ظلمات الجهل الى نور العلم ، ورفعا من حضيض الفساد الى اوج الرشاد ، واتقاها من مضيق الفقر والفاقة، الى مجبوحة الفقى والثروة ، اثم الطالبون بذلك بمعرفتكم قيمة انفسكم ، وبمحسن سيرتكم في خاصة انفسكم ، وبتعارفكم وتآفكم وتعاونكم فيما بينكم ، وبهدايتكم وارشادكم لغيركم ، وعلى كل من الراحلين الى البلاد منكم واجبات ، اذ كركم بها بهذه الكلمات :

يقضي ان يوطن كل واحد منكم نفسه على خدمة الأمة ورفع شأنها وان يراها

املا لذلك بما منحها الله من القوى اذا هو شكر الله عليها باستعمالها في ذلك، فمن بوطن نفسه على ذلك ويحملها على الاستعداد له فعل همته، ونعظم مروءته، وتعلق آماله بمالي الامور ويقتزى عن سفاسفها، ومن لم يرج من نفسه الاصلاح كان جديرا بان لا يرجوه غيره منه، وان لا يكون مصلحا بعله ولا عمله، ومن لم يكرم نفسه لا يكرم يثبته على بعض الناس تكريم النفس وحملها على مطالي الامور بالسبب والغرور، والفرق بينهما كالفرق بين الظلمات والنور، والظل والحرور، فالاول يكون على الاخلاق حسن الاعمال مع التواضع والنزاهة والبراءة من التبعج والدعوى فهو قدوة حسنة في اخلاقه وآدابه واعماله، وأما الثاني فهو يدعي ما ليس فيه ولا تهمه الاحتفاظ بنفسه، ويجب ان يحمده بما لا يفعل، ويحقر العاملين، ويفسط الحقوق، فيكون قدوة سيئة في اخلاقه واقواله وافعاله

ان المعجب الغرور يرى نفسه في مرآة جميلة ولكنه في مرآة غيره دميم مشوه فهو لا يبش ولا يتدع الا نفسه الخبيثة، واما عالي الهمة وكبير النفس فانه يراها دائما مقصرة لانه لا يعمل عملا الا وهو يرى ان الواجب عليه والمستطاع له اكثر منه واكثر ولا يحجبه عن اعتقاده هذا حمد الحامدين له، ولا ثناء الراضين عن عمله، المعجبين بعله وآدابه، فاذا فطنتم ايها الاخوة لهذا الفرق فاجعلوه ميزانا لكم في محاسبة انفسكم لئلا تكونوا حسانا في مرآة انفسكم قباحا في مرآة غيركم.

ان من الناس من يكون استعداده لمالي الامور واقبيام بالمصالح العامة قويا ومنهم من يكون استعداده لذلك ضعيفا، منهم من تحرك هذه الذكري همة للعمل الذي يقوي الاستعداد، ومنهم من لا يقيم لها وزنا، ولا يفهم لها معنى، فمن رأى انها هدمه الى كثر ما كان يعرفه، أو زادت شوقا الى شيء كان يحسن اليه ويألفه، فليحمد الله تعالى وليبشر بأن سيكون ممن ترقى بهم أمتهم، وتعز بهم دولتهم، وتمتع بهم بلادهم، ومن رأى انها من لغو القول، أو من قبيل تكليف المشي على الماء، أو الخروج الى السماء، فليعلم انه خلق ليكون اجبرا يعمل ليا كل فلا يفش نفسه بدعوى ما لم يخلق له

ألا وان العمل يقوي الاستعداد الضعيف فتي وضعف هذا الفرض الشريف

(المارچ ٧ م ١٣) العلم بالتعلم والحلم بالتعلم ٥٤٥

(ترقية الامة) نصب امينكم ووطنكم انفسكم على السعي له في طريقه والدخول عليه من بابه ، فانكم في كل يوم تزدادون فضيلة وهمة واقداما
 ألا وان التخلية مقدمة على التحلية فينبغي ان تطالبوا انفسكم بان يراكم قومكم في منصرفكم هذا اليوم خيرا مما فارقوكم عليه خلقا وادبا ورأيا وعملا وقولا ،
 يجب ان لا يروا منكم ما ينكرون ، وأن لا يسمعوا منكم ما يكرهون ، يجب ان يروا منكم العفة والنزاهة والتقوى والصدق والغيرة والحماة والفتوة ، يجب ان لا تدغوا لهم مجالاً للشك في دينكم ولا في اخلاصكم لامتكم ودولتكم ، فان ارتفعت همتكم الى ذلك فابشروا فان فوزكم فيما تريدون من ايقاظ الامة وعزة الدولة سيكون قريبا
 لا تظنوا ان من كان فاقدا لشيء من تلك الفضائل ، او مبتلى بشيء من المعاييب ، وتكلف اخفاء عيبه ، وإظهار فضيلة ليست خلقا له ، يعد مراثيا مناققا ، فان الرياء والتناق هو ان يصر المرء على عيبه وبرضى بالبقاء عليه ويحاول أن يوصف بفضده ، او ان يعمل العمل امام الناس ليقولوا فلان عمل وهو لا يرغب في ذلك العمل ولا في ان يكون من أهله ، ولست في هذا ارغبكم بالرياء وانما ارغبكم في التكلف ، الذي هو طريق التخلق ، فالحلم بالتعلم ، كما ان العلم بالتعلم ، والترك داعية النسيان والهجر وسيلة السلوان ، على ان من يتكلف الخير رياء ، اقرب الى الخير والكمال ممن يعمل السوء جهارا ، وقد قالوا الرياء قنطرة الاخلاص
 اراني اطلت عليكم في مسألة واحدة ما كنت اريد الاطالة فيها ، كيلا يفوتني القصد فيما ينني عليها ، وهو ما ينبغي ان تحشوا الناس عليه ، وترغبوهم فيه ، واتي اذكر منه ما يخطر ببال من المعات

اول ما تصنون به الترغيب في العلم في المكاتب والمدارس الروسية والدينية الاهلية على حسب الرغبة والميل وتيسر الأسباب
 لاحديث كحديث العلم والتعليم يجب التوسع فيه ، والتبسط في ارجائه ومناحيه ، فيدوا للامة فوائد التعلم الاهلي الوطني واقنعوهم بان ترقى الامة لا يكون الا به ، ورغبوهم ايضا في مكاتب الحكومة ، وينوالم كيف يتوقف ترقى الدولة على نابغي
 (المارچ ٧) (٦٩) (المجلد الثالث عشر)



٥٤٦ اللغتين الدينية والرسمية . الجندية والارمن (المارچ ١٣٧٧م)

المتخرجين في مكاتبها الملكية والمسكربة والعلوية والقضائية وكيف تتزاحم العناصر الثمانية فيها لان هذا العصر هو عصر المباراة بين العناصر

من فروع احاديث العلم او اصوله مسألة الالفة فينوا للامة وجه الحاجة الى اقتانها لغتها ، وجمالها هي القطب لتربيتها في نفسها، وينوا لها وجه توفيق الدولة على اقتان لغتها : لغتها الرسمية المنسوبة الى مؤسسها وهي العثمانية، ولغتها الدينية من حيث هي اكبر دول الاسلام وهي العربية، التي تستمد منها الدولة علوم الدين والأدب والقضاء . ويحسن الانتقال من الترغيب في التعليم العسكري الى الترغيب في الجندية نفسها ، حبوا هذه الخدمة الجليلة للامة ، بينوا لها الفرق العظيم بين الجندي البائس الخبير الجائع العاري الخافي في زمن عبد الحميد ، وبين الجندي العزيز الكريم الشبان الكاسي الذي خصص له في ميزانية الحكومة الدستورية اكثر من اربعة آلاف قرش في السنة ليؤمن كل من العرب والارنوؤود لأهل بلادهم انه لا يلبق بهم أن يكونوا أشد العناصر تقصيرا في هذه الخدمة الشريفة من حيث هم اجدر العناصر بالسبق اليها والتبريز فيها لما هم عليه من الشجاعة والحمية والاقدام

اخبروا أهل كل مدينة وكل قرية وكل حلة وكل دار تحلون فيها عن همته ابناء وطننا الارمن أنهم بمرون جميع اولادهم في جميع مكاتبهم ومدارسهم على التنظيم العسكري بلغتهم فيسبون جميع افراد هذا الجيل الجديد من الارمن جنودا سواء منهم الفني والفقير والرفيع والوضيع ، يقولون من دخل من ابنائنا في جندية الدولة كان متعلما متحررا لا يلقى تمحكا ولا اهانة بل يكون سابقا مقدما سريع الترقى ومن لم يدخل منهم لا يضره هذا التعليم الذي يروض بدنه ويغلي همته ويزيد نشاطه وقد يفيد في يوم ما ، فاذا رضي بعض قومكم بأن لا يكون للتعليم الاهلي عين في بلادهم ، ولا أثر بعد العلم بأن التعليم عام في الارمن شامل لجميع ذكراهم وإناثهم ، فهل يرضون ايضا ان يسبقوهم في ميدان الشجاعة والاقدام ، كما سبقوهم في حلبة العلم والعرفان ، ان كانت قد مرضت عقولهم وتقسمت نفوسهم حتى رضوا بالاولى فهل تحذت حميتهم وتضامات شجاعتهم فيرضوا بالآخرى ؟ هذا ما لا يعترفون به ابدا بل لا يعترفون بالاولى أيضا وانما يستندون عنها فطالبوهم بإزالة العذر بالقول والعمل .

(الملتحج ٧ م ١٣) الأحصاء والجنديّة والمبعوثون ٥٤٧

من هذا الباب ادخلوا على قلوبهم ، من هذه النافذة أشرفوا على خفايا القيرة من زوايا سرائرهم ، بهذا الأسلوب من القول حركوا سوا كن النجدة والحمية من قوسهم ، ثم أقنعهم بأن الإحصاء الدقيق لنفوسهم هو الوسيلة الأولى من وسائل الخدمة العسكرية الشريفة ، وإن الأحصاء فوائد أخرى أهمها تكثير عدد المبعوثين على ذكر المبعوثين أقول اتني اعلم انه لا بد لكم من الخوض في أمر المبعوثين وأعلم ان كثيرا منكم يتلون او يفرقون في تقدم فأوصيكم في هذا المقام بثلاث (١) ان يكون جل كلامكم في ذلك عليا كيان معنى الحكومة النياية ، وما ينبغي ان يكون عليه النواب (المبعوثون) من العلم بالمصالح العامة ومن الصفات والأخلاق كاستقلال الرأي والأخلاص والشجاعة وحسن البيان وقوة العارضة وما يترتب على ذلك من ترقية الأمة وعمران بلادها ومن اصلاح حال الدولة ورفعة شأنها ، فالبحت في هذا هو الذي يعد الأمة الى حسن الاختيار في الانتخاب الآتي (٢) ان تذكروا المحسن من المبعوثين باحسانه والهام بهمه لتعرف الأمة قدره وتكرمه فيكون الشكر مدعاة المزيد من حسن خدمته والارتقاء فيها ، وما وجب شكر المحسن في الشرع وحسن في نظر العقل الا ليكون مدعاة المزيد من الاحسان ، وليكون ذلك رافعا لهمة المستعد الخامل وشجاعة الجبان المتواكل ، — (٣) ان تنزهوا عن الطعن في الضعفاء العاجزين والذين رضوا أن يكونوا من غيرهم كقذح الركب ، اوصدى الناعب ، وحسبكم ان تكونوا ادباء نزهاء غير غاشين ولا مخادعين ، وان تتحاموا بذلك اخراج الاضغان ، وتأريث العداوة والبغضاء ، انظروا الى الحسن وكبروه واعلوا شأنه وفضوا ابصاركم عن القبيح وادفونوه بالإعراض عنه والإهمال له ما وصلت الى هذا الرجا من ارجاء القول الا ورأيتني امام ميدان واسع له يأذن لي ما بقي من المقال بالايجاب والايضاح فيه ، رأيتني امام مسألة مقاومة الجامدين والفاقين من الأمة لاصلاح المصلحين وتغيير العامة عنهم ليحبط عملهم أو يبطئ نموه فتأخر ثمراته ، هذا مرض من اعراض امراض هذه الأمة قد قوى في هذا العصر باختلاف طرق التربية واساليب التعليم وقد اشيرنا الى هذا في أوائل المقال فليكن أيها الشبان العقلاء ان تتبوا في علاجه طريق التحصيل المنطقية في تمييز

٥٤٨ الإصلاح ومقاوموه . التأليف بين العناصر (المئراج ٧م ١٣)

الضروب المتعبة من الضروب العقيمة دون طريق الاسقاط ، عليكم ان تعظموها
 شأن الإصلاح والمصلحين ولا تذكروا خصومهم بسوء ، عليكم بيان الحق للامة
 فتى بان وظهور زهق الباطل وان لم تحاربوا أهله جهلوا ، عليكم ان تكبروا قيمة حرية
 الفكر واستقلال الرأي ، وان تدعوا المخالفين الى المناظرة الادبية بالكتاب ، دون
 السعاية والاعتياب ، والتنازع بالاقاب ، فمن اعرض عن ذلك ظهر عجزه ، وبطل كده
 وسعده ، « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » فقلبوا هناك واقبلوا صاغرين «
 لاترضوا بالترف عما يزيد الشقاق في الامة بل وجهوا عنايتكم لتأليف بين
 العناصر المختلفة ، والاديان والمذاهب المتعددة ، اجمعوا ولا تفرقوا ، بشروا ولا
 تغفروا ، يسروا ولا تصسروا ، ان يد الله على الجماعة ، وانما يأكل الذئب من اللحم
 اقصية » بذلك يقوى استعداد الامة للإصلاح القريب ، والعاقبة للمتقين
 عليكم ان تحثوا الامة على النشاط في الكسب ، وحبوها في ترقية الزراعة وفي
 الاستعانة على ذلك بتعلم طرقها الحديثة في مدارس الحكومة ، وحبوها في إحياء
 الصناعة الوطنية والاستزادة منها ، استعمالوا المصنوعات الوطنية ورفضوا الاغنياء والحكام
 في استعمالها فان هذه هي الطريقة المثلى لرواجها ، وحبوا أهل الوطن في الاشتراك
 المالي في الزراعة والصناعة والتجارة فان هذا أقرب طرق الالفة والأماناد
 وأخص طلاب العلوم الدينية بأن يترفعوا عن الظهور بمظهر الفاقة ، أو يرضوا
 لانفسهم بشيء من المهانة ، أذ كرم بأنهم أجند الناس بعزة النفس وكرامتها ، والزهد
 فيما في أيديهم من حطابها ، فطبيهم ان يكونوا قدوة في أخلاقهم وفضائلهم ، لتقبل
 اقوالهم في الحث على الفضيلة والقوى ، عطوا الناس السنة ، فقوم من البدعة ،
 فكل حديث في الدين بدعة سيئة ، واما الابتداع في أمور الدنيا فتصيريه الاحكام
 الحسنة ، ابنوا وخطكم دائما على آيات القرآن ، وأمزجوه بالأحاديث الصحيحة مع
 مزوها الى مخرجيها ، قلوبوا دجل الدجالين ، واجمعوا بين مصالح الدنيا وحكمة
 الدين ، « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد
 في الارض ان الله لا يحب المفسدين »

البهتان العظيم

كنت سامرا مع ناظر الداخلية بداره في اوائل المحرم فذكرنا سوء التفاهم بين العرب والترك فذكر أن عبيدالله افندي بمعوث آيدين شينشي جريدة عربية في العاصمة لاجل هذه المسألة ونهت منه ان ذلك برأي الحكومة ومساعدتها قلت يخشى ان تزيد هذه الجريدة في سوء التفاهم فان مديرها مشهور بالتعصب على العرب فلا يقون بقوله ولا بنيته فبالا اختتم لهذا العمل غيره . قال الناظر انه يظهر لانا انه يحب للعرب غال فيهم ولعلكم سمعتم ما ذكرتم عنه من بعض مناظريه من معوثي العرب ، قلت لا وإنما انا أعرفه بنفسه فانه كان بمصر وكان يصرح في المحافل العامة بما يستنكره العرب وبأنه ينبغي للترك ان يستقنوا عن اللغة العربية حتى عن القرآن العربي بأن يترجموه بلقمتهم وقد جرت بيني وبينه مناظرة في ذلك . قال الناظر اما الاستثناء عن القرآن العربي يترجمه فلا أوافقها عليها ولكتني أعرفه محبا للعرب وفي ذلك الشهر نفسه اصدر عبيدالله افندي جريدته وكان من أمرها ما عرف الخالص والعام فقد قامت عليها قيامة الجرائد العربية في مصر وولايات سورية كلها وفي أمريكا تقضح مقاصد صاحبها وفي إلقاء الشقاق والبغضاء والتعصب الذمير الجنسي والديني بين العرب وشكوه الي الحكومة وطعنوا في الحكومة ولا سيما نظارة الداخلية لما شاع وذاع من مساعدتها له وصار يضرب باسمه المثل في التفریق والافساد بين جميع الناطقين بالضاد ، ونحمد الله أن جاء ماسعى اليه في جريدته من إثارة الفتنة بين المسلمين والنصارى في بيروت وسائر البلاد السورية بضد ماسعى اليه فقد تمكنت الالفة والوحدة الوطنية بين الفريقين واتفقت جرائدهما على ذلك من غرائب هذا الرجل انه يجمع في جريدته بين الاضداد والتناقض فيمدح الشيء ويذمه مطلقا ويثبت الشيء وينفيه كذلك ، ويحث على الامر وينفر عنه فاذا اعترض عليه في بعض ما يكتبه أمكنه أن يدعي لنفسه الطرف الآخر ويستدل عليه ببعض ما كتبه فهو في مشربه وحاله وعقله واخلاقه ليس اهلا لان مناظره أو

٥٥٠ مكابرة عبيد الله - تحريف الكلم عن مواضعه (المخرج ٧ م ١٣)

يجادل وإنما امتت الجرائد العربية بشأنه لاعتقادها ان الحكومة هي التي دفنته الى هذا العمل ولاجل أن تتخذ فتته ذريعة لجمع الكلمة بين أبناء الوطن العربي لهاومة من اتفقوا على انه عدو لكل عربي

ومن غريب امره انه لا يستحي من مكابرة الحس ، واعطاء الضد حكم الضد ، فهو يصرح بأن العرب كلهم مسلمون وانه لا يعقل هو ولا أحد من الترك انه يوجد في العرب نصراني ، ومثل هذا في المكابرة ما بهتي به وباله من بهتان عظيم قلما يوجد في المخلوقين بشكل الانسان من يرضى لنفسه التصريح بمثله وهو بهت الانسان جبرا في كتابة تطعيم وتشنر بضد ما هو مشهور به وتحريف كلامه المعروف عندهم والاصرار على ذلك بعد انكار الجماهير عليه في الاقطار المتفرقة والبلاد الكثيرة أحمد الله تعالى أن عرف لي كل من يعرفني اخلاصي في الدعوة الى الوفاق والائتقاد بين المخترقين في الاديان والمذاهب والاجناس والمشارب ، فكم دعوت المسلمين الى الاتفاق مع من يبش معهم في كل قطر ومملكة وكم دعوت العثمانيين خاصة الى الائتقاد وكم سمعت في هذه السبيل . ولما حدث ما حدث بعد الدستور من سوء التفاهم بين العرب والترك سمعت الى تلافى ذلك بالقول والكتابة والسعي عند أولي الامر في العاصمة لكن لم يظهر لي أحد من أولي الامر العناية بما سمعت اليه الاحسين حلمي باشا في وزارته ولكن سر به كثيرون من الفضلاء . وكنت نشرت عدة مقالات في ذلك بجرائد العاصمة التركية والعربية قبل ظهور جريدة الحضارة وعدة مقالات في هذه الجريدة

حقد عبيد الله نظره في هذه المقالات ودقق النظر ليجد فيها عبارة تقبل التحريف بمراد ظاهر ليجعله تكأة له في مجوي وذمي والتفيري عني وعن مشروعني فلم يجد فعمد الى البهتان المين فنقل من إحدى مقالاتي في جريدة الحضارة جملة محكية عن ساسة أوربا الذين يريدون القضاء على هذه الدولة بتفريق عناصرها مع الرد على أولئك الساسة وتحذير العثمانيين من الاصفاء اليهم وحشم بالبراهين على الائتقاد الذي فيه خبهم اجمعين . فزعم أولا اني كتبت تلك العبارة عن لسان الاوربيين لاجل تفريق العثمانيين وانه لا يوجد في الاوربيين من يفريقنا بالتفريق وإنما هم يدعوننا

(المارچ ٧ م ١٣) آراء أوروبا في الدولة العثمانية ٥٥١

الى الوفاق ١١ ثم سكت مدة وصار ينقل تلك العبارة ويمزوها الي مباشرة وترجمها الى التركية غير مرة لينغر اخواني الترك مني ، ولم ينجل من ادعائه اني انا الذي أقول تلك الاقوال وأدعو العثمانيين الى التفوق والانفصال ، فثله كمثل من يعمد الى مثل قوله تعالى « وقالوا إن هذا إلا إفك افتراه واعانه عليه قوم آخرون » الآية وقوله « وقالوا اساطير الاولين اكتبها فهي تلي عليه بكرة وأصيلا » فخذف من الآيتين لفظ « قالوا » وزعم ان القرآن يعطى في القرآن وفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سبحانك هذا بهتان عظيم » وقد روينا في الصحيحين والسنن ان النبي (ص) قال « انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت » أنكر علي عبيد الله أولا ان في الاوربيين من يرى في ترويج سياسته تفريق العثمانيين بعضهم من بعض ولا سيما الترك والعرب ، أنكر ذلك وهو يعرفه كما هي عادته وفي كلامه ما يشعر به بل صرح به في العدد الاخير من جريدته الذي أعلن فيه إيقاف إصدارها الآن ولكن القائلين من قرائها الذين ينسون عند قراءة كل عدد ما كتب في غيره بل عند كل جملة ما يناقضها من الجمل قبلها قد يصدقونه فيما بهتني به ومن الاخلاق التي رسخت في هذه العاصمة وفي رجال هذه الحكومة خلق التسليم والتصديق بالشر والارتياب في الخير طبع هذا الخلق في نفوس الكثيرين منهم العهد الحميدي الذي لم يكن لهم فيه من شاغل الا الوسوسة والتجسس والانهام بالشر هذا وانا نحن الذين هتانا في شر أيام العهد الحميدي في مصر بهيدين عن استبداده وعن وساوسه أعرف سياسته من الذين هاشوا فيه وأعرف سياسة أوروبا أيضا وقد اشرت في مقالات (العرب والترك) الى بعض سعي الافرنج من استقلال العرب وعبيد الله يعرف شيئا من هذا ولكنه يتعمد كتم الحق واظهار الباطل لما له من الهوى في ذلك . وبمكنتي ان اقل كلمة وجيزة في هذا الباب من الكتاب المسى (الدول المضطمة امام الاقلاب العربي) الذي ألفه اوجين جونج الذي كان واليا لفرنسا في الهند الصينية وهي قوله في ص ٢٢٨ ما ترجمته :

« ان العناصر التي تتكون منها الدولة العثمانية وهي الالبان والمكدونيون في أوروبا والروم في جزائر الارخبيل والارمن والاكراد والعرب في آسيا كلها اصبحت منذ

الفصل الثالث والعشرون (*)

﴿ اعلان الدعوة ، واحتمال الاذى ، والثبات ﴾

لم تقف فضائل السيدة « خديجة » عند ما ذكرناه الى الآن من سيرتها بل هي كالينابيع الثرور لا تفيض . والآن يشرف القارئ معنا على مجلى من اعظم المجالي لفضائل هذه السيدة الجليلة . جاء الآن دور الثبات في سبيل الحق ، وهذا الثبات لا نجد في كل عصر الا في صحائف افراد ندرتهم بين بني آدم اعظم من ندرة الباهوت بين الحجاره ، وكثرة فوائدهم اعظم من قطرات النيث

لقد سر على بني آدم ألوف من الاحوام وفي كل عصر وجد منهم ألوف الالوف ومن كل هذا العدد العظيم لا نعرف مئة ثبتن في سبيل الحق مع شدة المطرضة ثبات « خديجة » أما ثبات بلها الكريم فلا ينبغي أن نقيس به بعد ما قدمناه ثبات أحد فلما قد وصلنا في الفصول السابقة الى بيان أنه مؤيد اعظم تأييد ، وأنه سمع الوحي الإلهي أمرا اياه أن يقوم بأعباء الرسالة والتبليغ ، فأصبح الفرق بينه وبين غيره عظيما جدا منذ أتاه هذا الوحي . وعندنا معشر المؤمنين به أنه هو المختار الاعظم ، والمصطفى الاكبر، فلذلك لا نرى ثباته في سبيل الحق يبادله أو يقاس به ثبات ظل هذا المختار ثلاث سنين يدعو سرا ثم أمر أن يجهر بالامر فلم

(*) تابع للنشر في (ص ٤٧٣ م ١٣) من سيرة السيدة خديجة بقلم السيد عبد الحميد الزمراوي

(المارچ ٧) (٧٠) (المجلد الثالث عشر)

يجد الى جانبه زوجة تثبط وتخوف أو يصف قلبها فتؤثر الراحة وطمانينة البيت على النصب واحتمال الاذى بل وجد قرينة صالحة القلب للوقوف معه بالصبر والسكينة أمام المعارضين والمعارضات وما أشد ما كان أمام هذا الداعي الى غير ما عرف القوم وما أخرج هذه الحالة الى قلوب كلما كبر الماندون كيدا تقول « الله اكبر » ١٢.

الله اكبر ، كان الماندون افرادا وجاعات قد امتلكت الاتفة واللمزة قوسهم ، واجتذبت قلوبهم ، وامتصت من أقدسهم الندوة فأصبحت نجات الهدى تزعبها ، وحرارة الانذار تتكاد تحرقها ،

فريش وما فريش ١٢ قبيلة ترى لنفسها العبق بكل فضيلة والشرف على كل فضيلة ، لها انوف شامخة كأنها تطلول السماء ، وأغناق متلعة كأنها تصيد كل عيابه ، تمارد كل قوم بالتهباء فتكترهم ، وتقاخر من تشاء بالعتاء فتبخرهم ، مثلها بين القبائل كالشمس مكانة ، وكالروضة نضرة وجيورا

هذه القبيلة التي حالها ما وصفنا من قوة الشكينة وشدة الإباء ومزيد التحالي كانت قد أصيبت من الاقتداء بمضرتة اذ كانت بعض العقائد التي صادفتها في موردها ومصدرها في البلاد المجاورة قد التصفت بتوطلحتي أصبحت ترى التصدي لاقتلاعها منها اعتداء على حقوقها ، واتتها كالحرماتها

هذه القبيلة كان لها من نور الذكاء ما يبهر الناظرين ولكن عند تراكت على افكارها سعائب من آثار التقليد حالت بين ذكائها وبين الحقائق العالية حتى رأيناها تندرج مع البلياء في مدرج واحد من تأليه صورهم عيابه بكاه جامدة قد صنعتها الأيدي قامت تحسب أن هذه الصور تذر وتتمنع، وتجلب وتدفع، وتغرب الى الخلق الأعظم وتتمنع،

وراحت تعلم أن هذه الصور مجداً، وتستحق شكري واحداً، وقلت
تصنع لها ما تصنع الأمم لا ألتفتها من ذبح القرابين، ونذر الثور، وتوجه
الغلوب، وإحبات الصدور، وتطق القلوب
أهم ساورت تلك العقائد قلبها حتى صارت الأتس فيها لا تبسط
شيء، أبساطها لتجيد تلك الآلهة ولا تتبعض شيء، اتباضها للظن فيها
أو التخص من تكريمها

هذه حال القوم الذين أصر هذا الرسول أن يقوم فيهم منذراً وداخياً
إلى معرفة الله تعالى وتوحيده، وكانت قريش تعرف هذا الاسم الجليل
الذال في هذه الآلة على واجب الوجود موجد السموات والأرض ولكن
لم تكن تعرف ما ينبغي أن يكون عليه جلال الذي يعبر عنه بهذه الحكمة
من الكمال والبعد عن مشابهة الحوادث، وقد جرها الجهل بالله تعالى
وسننه وآياته إلى ما جرح كثيراً من الأمم إليه من جهل كثير من الحقائق.
وإني ما أشبه نتائج الجهل به من وجل الأنسلة طويلة يستدرج بها ذلك
الجاهل إلى أسوأ النهايات إذا لم تداركه الأسباب من عنابة الرؤوف
الرحيم جث الآؤه، وتالت أسماؤه

ولقد كاد حظ قريش من هذه السلسلة - سلسلة الجهل - يصل بها
إلى مستقر لا تغنيها فيه الرفعة على أمثالها من ضرب الجهل خيامه عنه
خيامهم، ولا تجديها القوة اليسيرة التي كانت تجدها في اجتماعها ذلك.
كاد الاتكال على الأصنام يعني كل آثار الفطرة منها، ويطنس كل رسوم
الذكاء، وينذهب بما تركه فيها من الخاسين بعض فضلاء الأسلاف قبل
هم، بهذه الآلهة التي فتروا بها، أصبحت لا تأتي ما هو فضل الله وما هي

٥٥٦ التأييد الآلهي (المخرج ١٣٧٧)

رحمة الله، وما هي عناية الله، وفقدت بعبدة عن معرفة ماهو الروح، وما هي خصائص الروح، وما هي عبادة الروح للاحد المحيط بكل شيء، وراحت معرضة عن العلم بمراقب الامم واتساع دائرتها، وعن معرفة وظيفتها من تميم ارادة الفاطر باظهار البدائع على يدها، وظهور آلائه وآثار عنايته عليها، وأصبح قصارى مايجول بفكر الواحد من هؤلاء القوم أحدشيقين يشيلان في ميزان العقلاء، شيء يرضي به وهمه في التزلف الى تلك الحجارة التي اتخذها آلهة، وشيء يرضي به وهمه في الكبرياء، ولم يدر منورهم أن التزلف الى تلك الحجارة وأمثالها هو متتى التسفل العقلي، وأن تلك الكبرياء، لا تجديهم شيئاً اذا دهم دام خارجيها كما وقع لهم يوم «أبرهة» هذه السلسلة الطويلة من نتائج الجهل بالله تعالى وسنته وآياته أصبحت قيدا لمداركهم قد أحكمت حلقاته فهم لا يستطيعون مادام موجودا أن يرحوا مام فيه لان جاذباً منه يجذبهم من حيث لا يرونه كلما تحركوا هذه هي السلسلة التي اقتضت عناية البارئ أن تظهر آية عظيمة في قدها وتخليص تلك القطر من قيدها، واقتضت الحكمة البالغة والتدبير الاسمي أن يكون ذلك بواسطة من اقسمهم، وأن تجري الهداية على سننها في الاولين فيلاقي الوسطة مايلاتي، ويصبر ما يصبر، ويتم الله ما يريد. ولذلك لما قام هذا المصطفى يعلن هذه الدعوة: لقي تلك الصوامد وماتلك الصوامد؟ جهل وغرور، وكبرياء وعتو، وقسوة وفظاظة، وتمصب للألوف، وقررة من الوعظ والنصح، وابهاء أمام الانذار، وطغيان وبتان وعدوان، واقدام على قتل الذي يذكر آلهتهم بما يكرهون أي قلب لولا التأييد الرباني يجد الى الصبر سبيلاً أمام هذه الصوامد،

(المراجع ٧ م ١٣) الصبر . الثبات . خلاصة الدعوة وأصولها ٥٥٧

وأي ناصية لولا العون الرحماني تظهر للقاء هذه الصوامد ، وأي امرأة غير «خديجة» نرى بعلمها في جوف هذه النوائل ثم لا يزيد الاحمد أعلى القيام بوظيفته وائناسا بوقوفها معه في وجه كل خصم لدود أوفى (عليه صلوات الله وتسليحاته) بأنواع الاذى للأسعهم الدعوة، تكاثر المفتاتون عليه والمفترون ، وظاهر صوامد الجاعدون والمفترون ، من اقرب اقربائه ظهر الجافون المتباعدون عنه، والمهازئون به والساحرون منه ، دع عنك البمداء ، ومن اكل قلبهم حسداً أو بفضاء ، قال المفترون هو يطلب الملك علينا ، وقالوا عن الوحي الآلهي هو شر جاء به الينا، وقد حشروا ما عرفوه من العيوب وأرادوا عزوها اليه لينفروا الناس منه وينقموا الآلهتهم التي بدتهم بمجودها، وكشف لهم عوار مجودها، وأيسر ما فعلوه سبهم اياه والمهزء به والافتراء عليه ومجاناته ثم مجافاة من لم يجافه فعلوا كل هذا وهو متدرع بالصبر، مثابر على الصدع بالامر، وفي هذا كانت معه هذه الدرجة الشريفة الفاضلة تعلم محبي الحق كيف يكون الصبر من أجله ، وتهدى الى الاجيال الآتية اجل صورة لثبات الجاش أمام الصعوبات

وباما أحلى الصبر اذا كانت عاقبته كماقبة صبر هذا الرسول الكريم فقد كانت العقبى ذلك الفوز العظيم الذي يقل في الدنيا من لم يسمع خبره ولنم عتبي الصابرين

— خلاصة الدعوة —

أما الدعوة الشريفة التي أعلنها فهذه أصولها :

(١) العلم بأن لاشيء يستحق التأليه الا الله الخلاق العظيم الذي

لا يشبه الحوادث ولا يشبه شيء منها

(٢) العلم بأن هذا الباري المصور ذو غاية خاصة بالنوع الانساني ومن ضايته به آمخافه بصنوف الهدايات ومنها الهداية بواسطة وحي أهلي للرسول المصطفىين

(٣) العلم بأن هذا الداعي الجديد الى الله هو رسول مصطفى قد أرسله الله بدين يدعو الى السعادة في هذه الحياة وحياة أخرى يوم الجزاء

(٤) العلم بأن الايمان بهذا الرسول يقتضي الاذعان والتسليم الى كل ما جاء به هذه أصول الدعوة التي كان مأمورا أن يبدأ بها الناس وهي ملخصة بهاتين الجملتين الشريفتين «لا إله الا الله محمد رسول الله» فمن قالهما مطمئنا بهما قلبه دخل تحت الأواء المحمود أواء المهدية الذي يظل مئات الملايين في يومنا هذا

والرسالة المحمدية لم تكن لقريش ولا للعرب خاصة بل هي للناس كافة ولكن البدء بالشيرة الاقربين كان هو الذي تقتضيه الحكمة حتى اذا أجابوا كانوا دعوة لا دعوة لا هو نا عليها

الفصل الرابع والعشرون

﴿ بعد عشر سنين ﴾

بعد عشر سنين من عهد الرسالة كان المؤمنون قد كثروا واخذ العناد من الخصوم يزيد، وجمل الحسد يتهب في قلوبهم لهذا النجاح الذي كانوا يحسبون محالا وكم يحسب أمثالهم مثل هذا الحسبان

(المترجم: د. م. ١٣٠٠) الجاحدون والمؤمنون، غابرة، وفاة خديجة ٥٥٩

كان الجاحدون في نل من ذلك الحسد، والمؤمنون في جنة من الفرح بنعمة الله ورحمته، كان الجاحدون يفكرون كيف يزهدون هذا الروح الجديد، والمؤمنون يتظنون من مولا املاء شأنه، كان الجاحدون جاري في هذا الداعي فطورا يسبونه وطورا يهزأون به، وأحيانا يرجعون الى أنفسهم ومحاسبون حسوم وعظلم فيه فيجدونه بميدا من المين وسائر المظان التي كانوا يظنون، وكان المؤمنون من يقينهم في حفظ عظيم من الطمانينة وانسراح الصدر وفرح الضيق. كان الجاحدون يرجعون الى تلك الحجارة فيشكون اليها المحمدين وما أتوه من مخالفة قومهم وتأييد ذلك الرجل الذي لا يذكر آهتهم الا بسوء، وكان المؤمنون يرجعون الى من لا تدركه الابصار متوجهة اليه وجوهمهم، مسلطة اليه قلوبهم لا يتوكلون الا عليه ولا يأخذون الا بسنته. كان الجاحدون عكروفا حول تلك الاصنام الجامدة، وكان المؤمنون يقولون سبحان الله سبحان الله عما يصفون، تعالى الله علوا كبيرا. كان الجاحدون كعيري الغم والهم، وكان المؤمنون مع شدة ما لا تقوه من الاذى فرحين مستبشرين قد أبدل الله لهم مرارة الصبر حلاوة، وذلة القلة عزة،

وفي أواخر تلك السنين الشر الشداد كان على سرير الاحتضار شخص عزيز جدا عند المؤمنين ولم يثبت الجاحدين في تلك الايام شي مثل مناصرة هذا الشخص لتلك العالم الاسلامي الذي نشأ وترعرع بينهم بالرغم منهم كان في هذا الشخص العزيز روح رفرف في هذا المحيط الصغير، تارة ترفع البصر الى مقرها الاقدس عند المحيط الاعظم فتعاول الطيران اليه، وتارة تلتقي به على هذا المحيط الذي أنست به فتظلم من فرقة عليه، وجانحة

٥٦٠ خديجة . وقتها في نهاية القرنين الأولين (التاريخ ١٣٧٧)

الى المكوف لديه ، وكان جاذب من قلوب هذا العالم الاسلامي يمتني بقاءه ،
وجاذب من امر الله وسنته يقضي بطيرانه ، وأمر الله أعلى واليه المصير
هل عرف القارئ من هذا المودع المميز ذلك كان شبح سيدتنا
« خديجة » قف أيها القلم خاشعا ، لقد ماتت من تركت للفضائل حياة
لا تقى ، لقد انتهى هذا العمر الذي أمدك بهذه المواد السامية ، ولن
تجد لك أيها القلم شرفا بعد هذه السيرة الا اذا سرت بنقل التاريخ المحمدي



سبحان رب الكون هذا حكمه في الروح قد سببت بهذا الواقع
مرآتها هذا الشخصوس بها ترى زما وترجم للسحيط الواسع
لقد سرت روح سيدتنا « خديجة » بهذه الادر فرأينا منها ماقلناه
للقارئ والآن هي لدى المحيط الواسع فهل تجبلى اليوم على هذا العالم الذي
مرث به وترى أن تلك الحكامة التي قاست في سبيلها مع بطها الكريم
ما قاست قد أعلاها الله تعالى وعظم شأنها ونصرها العرب وغير العرب
وأصبحت برور الارض وبحورها مملوءة كل هذه المصور الى يومنا هذا
عن يقول من جميع اجناس البشر « لاله الا الله محمد رسول الله »
وقد ولدت سيدتنا « خديجة » من زوجها الكريم بنين وبنات
وبقيت لها من بنتها السيدة « فاطمة الزهراء » ذرية مباركة في أكثر
أقاليم الارض والحمد لله ولكن هل تجبلى اليوم تلك الروح الشريفة وترى
أن كل المؤمنين بمدون البوم أولادها . فالسلام عليك ياأم المؤمنين ،
سلام الله ورحمته ونحمياته على روحك الطاهرة بأمامه